تفسير المعوذتين

للعلامة الامام شيخ الاسلام علم العلماء الأعلام

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر

بابن قيم الجوزية المتوفى

(سنة ٧٥١ هجرية)

قدس الله روحه ونور مرقده وضرحه

﴿ عُنِيَ بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله للمرة الأولى ﴾

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

قوبل على نسختين خطيتين مختلفتي التاريخ

طبع على نفقة عبد الهادى وأخيه أبي بكر نجلي الشيخ محمد منير الدمشقي

من علماء الأزهر الشريف

حق الطبع محفوظ الى ادارة الطباعة المنيرية بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

تفسير المعوذتين

للعلامة الامام شيخ الاسلام علم العلماء الأعلام

أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي المشتهر

بابن قيم الجوزية المتوفى

(سنة ٧٥١ هجرية)

قدس الله روحه ونور مرقده وضريحه

﴿ عُنِيَ بتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله للمرة الأولى ﴾

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي

قوبل على نسختين خطيتين مختلفتي التاريخ

طبع على نفقة عبد الهادي وأخيه أبي بكر نجلي الشيخ محمد منير الدمشقي

من علماء الأزهر الشريف

حق الطبع محفوظ الى ادارة الطباعة المنيرية بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما * قال الشيخ الامام العالم العلامة الأوحد البارع اوحد الفضلاء وقدوة العلماء وارث الانبياء شيخ الاسلام مفتى الأنام المجتهد المفسر ترجمان القرآن ذو الفوائد الحسان ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية رحمه الله وادخله الجنة آمين *

روى مسلم فى صحيحه من حديث قيس ابن ابى حازم عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله ﷺ « الم تر (١) آيات انزلت الليلة لم ير مثلهن قط أعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس » وفي لفظ آخر من رواية محمد بن ابراهيم التيمى عن عقبة « ان رسول الله ﷺ قال له الا اخبرك بافضل ماتعوذ به المتعوذون قلت بلي قال قل اعوذ برب الفلق وقل اعوذ برب الناس » وفى الترمذى حدثنا قتيبة نا ابن لهيعة عن يزيد بن ابى حبيب عن على بن رباح عن عقبة بن عامر قال « أمرنى رسول الله ﷺ ان اقرأ بالمعوذتين في دبر كل صلاة » قال هذا حديث غريب . وفى الترمذى والنسائى وسنن أبى داود عن عبد الله بن حبيب قال « خرجنا في ليلة مطر وظلمة نطلب النبى ﷺ ليصلي لنا فادركناه فقال قل فلم أقل شيئا ثم قال قل فلم اقل شيئا ثم قال قل قلت يارسول الله ماأقول قال قل قل هو الله أحد والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء » قال الترمذى حديث حسن صحيح وفى الترمذى ايضا من حديث الجريرى عن أبى هريرة عن ابى سعيد قال « كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجان وعين الانسان حتى نزلت المعوذتان فلما نزلتا أخذهما وترك ماسواهما قال وفى الباب عن أنس وهذا حديث غريب . وفى الصحيحين عن عائشة « ان النبى ﷺ كان اذا

(١) قال النووى في شرح مسلم ضبطانر بالنون المفتوحة وبالياء المضمومة وكلاهما صحيح

آوى إلى فراشه نفث فى كفيه بقل هو الله أحد والمعوذتين جميعا ثم يمسح بهما وجهه وما بلغت يداه من جسده قالت عائشة فلما اشتكى كان يأمرنى أن افعل ذلك به » قلت هكذا رواه يونس عن الزهرى عن عروة عن عائشة ذكره البخارى ورواه مالك عن الزهرى عن عروة عنها « ان النبى ﷺ كان اذا اشتكي يقرأ على نفسه بالمعوذات وينفث فلما اشتد وجعه كنت اقرأ عليه وأمسح عليه بيده رجاء بركتها » وكذلك قال معمر عن الزهرى عن عروة عنها « ان النبى ﷺ كان ينفث على نفسه فى مرضه الذى قبض فيه بالمعوذات فلما ثقل كنت انا انفث عليه بهن وامسح بيده نفسه لبركتها فسألت ابن شهاب كيف كان ينفث قال ينفث على يديه ثم يمسح بهما وجهه » ذكره البخارى ايضا وهذا هو الصواب ان عائشة كانت تفعل ذلك والنبى ﷺ لم يأمرها ولم يمنعها من ذلك واما ان يكون استرقي وطلب منها ان ترقيه فلا (١) ولعل بعض الرواة رواه بالمعنى فظن انها لما فعلت ذلك وأقرها على رقيته ان يكون مسترقيا فليس احدهما بمعنى الآخر ولعل الذى كان يأمرها به انما هو المسح على نفسه بيده فيكون هو الراقي لنفسه ويده لما ضعفت عن التنقل على سائر بدنه امرها ان تنقلها على بدنه ويكون هذا غير قراءتها هي عليه ومسحها على يديه فكانت تفعل هذا وهذا والذى أمرها به انما هو تنقل يده لا رقيته والله اعلم. والمقصود الكلام على هاتين السورتين وبيان عظيم منفعتهما وشدة الحاجة بل الضرورة اليهما وانه لا يستغنى عنهما احد قط وان لهما تأثيرا خاصا في دفع السحر والعين وسائر الشرور وان حاجة العبد الى الاستعاذة بهاتين السورتين اعظم من حاجته الى النفس والطعام والشراب واللباس فنقول والله المستعان قد اشتملت السورتان على ثلاثة اصول وهي اصول الاستعاذة احدها

(١) كيف والنبى صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين وقال عليه السلام يدخل الجنة سبعون الفا وهم قوم لا يرقون ولا يسترقون ولا يكوون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون وقد يقال فعل ذلك لبيان الجواز تامل

نفس الاستعاذة والثانيـة المستعاذ به والثالثة المستعاذ منه فبمعرفة ذلك تعرف شدة الحاجة والضرورة الى هاتين السورتين فلنعقد لها ثلاثة فصول الفصل الأول في الاستعاذة. والثاني في المستعاذ به والثالث في المستعاذ منه*

الفصل الاول

اعلم ان لفظ عاذ وما تصرف منها تدل على التحرز والتحصن والنجاة وحقيقة معناها الهروب من شيء تخافه الى من يعصمك منه ولهذا يسمى المستعاذ به معاذا كما يسمى ملجأ ووزراً . وفي الحديث ان ابنة الجون لما أدخلت على النبي ﷺ فوضع يده عليها قالت اعوذ بالله منك فقال لها لقد عذت بمعاذ الحق باهلك. فمعنى اعوذ التجيء واعتصم واتحرز وفي اصله قولان احدهما انه مأخوذ من الستر والثاني انه مأخوذ من لزوم المجاورة فاما من قال انه من الستر قال العرب تقول للبيت الذي في اصل الشجرة التي قد استتر بها عوذ بضم العين وتشديد الواو وفتحها فكأنه لما عاذ بالشجرة واستتر باصلها وظلها سموه عوذا فكذلك العائذ قد استتر من عدوه بمن استعاذ به منه واستجن به منه ومن قال هو لزوم المجاورة قال العرب تقول للحم اذا لصق بالعظم فلم يتخلص منه عوذ لانه اعتصم به واستمسك به فكذلك العائذ قد استمسك بالمستعاذ به واعتصم به ولزمه والقولان حق والاستعاذة تنتظمهما معا فان المستعيذ مستتر بمعاذه متمسك به معتصم به قد استمسك قلبه به ولزمه كما يلزم الولد اباه اذا اشهر عليه عدو سيفا وقصده به فهرب منه فعرض له ابوه في طريق هربه فانه يلقي نفسه عليه ويستمسك به أعظم استمساك فكذلك العائذ قد هرب من عدوه الذي يبغي هلاكه الى ربه ومالكه وفر اليه والقى نفسه بين يديه واعتصم به واستجار به والتجأ اليه وبعد فمعنى الاستعاذة القائم بقلبه وراء هذه العبارات وانما هي تمثيل واشارة وتفهيم والافما يقوم بالقلب حينئذ من

الالتجاء والاعتصام والانطراح بين يدى الرب والافتقار اليه والتذلل بين يديه امر لاتحيط به العبارة. ونظير هذا التعبير عن معنى محبته وخشيته واجلاله ومهابته فان العبارة تقصر عن وصف ذلك ولاتدرك الا بالاتصاف بذلك لابمجرد الصفة والخبر كما أنك اذا وصفت لذة الوقاع لعنين لم تخلق له شهوة أصلا فلو قربتها وشبهتها بما عساك ان تشبهها به لم تحصل حقيقة معرفتها فى قلبه فاذا وصفتها لمن خلقت فيه وركبت فيه عرفها بالوجود والذوق. وأصل هذا الفعل اعوذ بتسكين العين وضم الواو ثم اعل بنقل حركة الواو الى العين وتسكين الواو فقالوا اعوذ على اصل هذا الباب ثم طردوا اعلاله فقالوا فى اسم الفاعل عائذ واصله عاوذ فوقعت الواو بعد الف فاعل فقلبوها همزة كما قالوا قائم وخائف وقالوا فى المصدر عياذا بالله واصله عواذا كلواذ فقلبوا الواو ياء لكسرة ماقبلها ولم تحصنها حركتها لانها قد ضعفت باعلالها فى الفعل وقالوا مستعيذ. واصله مستعوذ كمستخرج فنقلوا كسرة الواو الى العين قبلها (١) قلبت الواو قبلها كسرة فقلبت ياء على اصل الباب ﴿فان قلت﴾ فلم دخلت السين والتاء فى الامر من هذا الفعل كقوله فاستعذ بالله ولم تدخل فى الماضى والمضارع بل الأكثر ان يقال أعوذ بالله وعذت بالله دون استعيذ واستعذت قلت السين والتاء دالة على الطلب فقوله استعيذ بالله اى اطلب العياذ به كما اذا قلت استخير الله اى اطلب خيرته واستغفره اى اطلب مغفرته واستقيله اى اطلب إقالته فدخلت فى الفعل ايذانا بالطلب هذا المعنى من المعاذ فاذا قال المأمور اعوذ بالله فقد امتثل ماطلب منه لانه طلب منه الالتجاء والاعتصام وفرق بين نفس الالتجاء والاعتصام وبين طلب ذلك فلما كان المستعيذ هاربا ملتجئا معتصما بالله اتى بالفعل الدال على ذلك دون الفعل الدال على طلب ذلك فتأمله وهذا بخلاف مااذا قيل استغفر الله فقال استغفر الله فانه طلب منه ان يطلب المغفرة من الله فاذا قال استغفر الله كان ممتثلا لان المعنى اطلب من الله أن يغفر لى. وحيث أراد هذا المعنى فى الاستعاذة فلا ضير أن يأتى بالسين فيقول

(١) لعل صواب العبارة فكسر ماقبل الواو فقلبت الخ اونحو ذلك

أستعيذ بالله أى أطلب منه أن يعيذنى ولكن هذا معنى غير نفس الاعتصام والالتجاء والهرب اليه . فالأول مخبر عن حاله وعياذه بربه وخبره يتضمن سؤاله وطلبه أن يعيذه . والثانى طالب سائل من ربه أن يعيذه كأنه يقول أطلب منك أن تعيذنى فحال الأول أكمل . ولهذا جاء عن النبى ﷺ فى امتثال هذا الأمر « أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ـ وأعوذ بكلمات الله التامات ـ وأعوذ بعزة الله وقدرته » دون أستعيذ بل الذى علمه الله إياه أن يقول* أعوذ برب الفلق أعوذ برب الناس) دون أستعيذ فتأمل هذه الحكمة البديعة ﴿ فان قلت ﴾ فكيف جاء امتثال هذا الأمر بلفظ الأمر والمأمور به فقال (قل أعوذ برب الفلق* وقل أعوذ برب الناس) ومعلوم أنه إذا قيل قل الحمد لله وقل سبحان الله فان امتثاله أن يقول الحمد لله وسبحان الله ولا يقول قل سبحان الله ﴿ قلت ﴾ هذا هو السؤال الذى أورده أبىّ بن كعب على النبى ﷺ بعينه وأجابه عنه رسول الله ﷺ فقال البخارى فى صحيحه حدثنا قتيبة ثنا سفيان عن عاصم وعبدة عن زر (١) قال « سألت أبىّ بن كعب عن المعوذتين فقال سألت رسول الله ﷺ فقال قيل لى فقلت فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ » ثم قال حدثنا على بن عبد الله ثنا سفيان ثنا عبدة بن أبى لبابة عن زر بن حبيش وحدثنا عاصم عن زر قال « سألت أبىّ بن كعب قلت أبا المنذر إن أخاك ابن مسعود يقول كذا وكذا فقال إنى سألت رسول الله ﷺ فقال قيل لى فقلت قل فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ » ﴿ قلت ﴾ مفعول القول محذوف وتقديره قيل لى قل أو قيل لى هذا اللفظ فقلت كما قيل لى . وتحت هذا من السر أن النبى ﷺ ليس له فى القرآن إلا بلاغه لا أنه هو أنشأه من قبل نفسه بل هو المبلغ له عن الله . وقد قال الله له (قل أعوذ برب الفلق) فكان يقتضى البلاغ التام أن يقول (قل أعوذ برب الفلق) كما قال الله . وهذا هو المعنى الذى أشار النبى ﷺ اليه

(١) هو ابن حبيش الآتى بعد

بقوله « قيل لى فقلت » أى إنى لست مبتدئاً بل أنا مبلغ أقول كما يقال لى وأبلغ كلام ربي كما أنزله إلىّ فصلوات الله وسلامه عليه لقد بلغ الرسالة وأدى الأمانة وقال كما قيل له فكفانا وشفانا من المعتزلة والجهمية وإخوانهم ممن يقول هذا القرآن العربى . وهذا النظم كلامه ابتدأ هو به ففى هذا الحديث أبين الرد لهذا القول وأنه ﷺ بلغ القول الذى أمر بتبليغه على وجهه ولفظه حتى أنه لما قيل له قل قال هو قل لأنه مبلغ محض وما على الرسول إلا البلاغ *

الفصل الثانى

فى المستعاذ به وهو الله وحده رب الفلق * ورب الناس ملك الناس إله الناس الذى لا ينبغى الاستعاذة الا به ولا يستعاذ بأحد من خلقه بل هو الذى يعيذ المستعيذين ويعصمهم ويمنعهم من شر ما استعاذوا من شره . وقد أخبر تعالى فى كتابه عن من استعاذ بخلقه أن استعاذته زادته طغيانا ورهقا فقال حكاية عن مؤمنى الجن (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً) جاء فى التفسير أنه كان الرجل من العرب فى الجاهلية إذا سافر فأمسى فى أرض قفر قال أعوذ بسيد هذا الوادى من شر سفهاء قومه فيبيت فى أمن وجوار منهم حتى يصبح أي فزاد الانس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقاً أى طغياناً وإثما وشرا يقولون سدنا الانس والجن . والرهق فى كلام العرب الاثم وغشيان المحارم فزادوهم بهذه الاستعاذة غشيانا لما كان محظوراً من الكبر والتعاظم فظنوا أنهم سادوا الانس والجن . واحتج أهل السنة على المعتزلة فى أن كلمات الله غير مخلوقة بأن النبى ﷺ استعاذ بقوله « أعوذ بكلمات الله التامات » وهو ﷺ لا يستعيذ بمخلوق أبداً . ونظير ذلك قوله « أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك » فدل على أن رضاه وعفوه من صفاته

وأنه غير مخلوق . وكذلك قوله « أعوذ بعزة الله وقدرته » وقوله « أعوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات » وما استعاذ به النبي ﷺ غير مخلوق فانه لا يستعيذ إلا بالله أو صفة من صفاته . وجاءت الاستعاذة فى هاتين السورتين باسم الرب والملك والاله وجاءت الربوبية فيها مضافة الى الفلق والى الناس ولا بد من أن يكون ما وصف به نفسه فى هاتين السورتين يناسب الاستعاذة المطلوبة ويقتضي دفع الشر المستعاذ منه أعظم مناسبة وأبينها وقد قررنا فى مواضع متعددة أن الله سبحانه يدعى بأسمائه الحسنى فيسئل لكل مطلوب باسم يناسبه ويقتضيه وقد قال النبي ﷺ فى هاتين السورتين انه ما تعوذ المتعوذون بمثلهما فلا بد أن يكون الاسم المستعاذ به مقتضيا المطلوب وهو دفع الشر المستعاذ منه أو رفعه وإنما يتقرر هذا بالكلام فى الفصل الثالث وهو الشيء المستعاذ منه فتتبين المناسبة المذكورة فنقول *

الفصل الثالث

﴿ في أنواع الشرور المستعاذ منها ﴾ فى هاتين السورتين الشر الذى يصيب العبد لا يخلو من قسمين إما ذنوب وقعت منه يعاقب عليها فيكون وقوع ذلك بفعله وقصده وسعيه ويكون هذا الشر هو الذنوب وموجباتها وهو أعظم الشرين وأدومهما وأشدهما اتصالا بصاحبه وإما شر واقع به من غيره وذلك الغير إما مكلف أو غير مكلف والمكلف إما نظيره وهو الانسان أو ليس نظيره وهو الجنى وغير المكلف مثل الهوام وذوات الحمى (١) وغيرها فتضمنت هاتان السورتان الاستعاذة من هذه الشرور كلها بأوجز لفظ وأجمعه وأدله على المراد وأعمه استعاذة بحيث لم يبق شر من الشرور الا دخل تحت الشر المستعاذ منه

(١) جمع حمة كثبة وهو السم أو الابرة التى يضرب بها الزنبور والحية ونحو ذلك أو يلدغ بها.

فيها . فان سورة الفلق تضمنت الاستعاذة من أمور أربعة . أحدها شر المخلوقات التى لها شر عموما . الثانى شر الغاسق إذا وقب . الثالث شر النفاثات فى العقد الرابع شر الحاسد إذا حسد . فنتكلم على هذه الشرور الأربعة ومواقعها واتصالها بالعبد والتحرز منها قبل وقوعها وبماذا تدفع بعد وقوعها . وقبل الكلام فى ذلك لا بد من بيان الشر ماهو وما حقيقته فنقول الشر يقال على شيئين على الألم وعلى مايفضى اليه وليس له مسمى سوى ذلك فالشرور هي الآلام وأسبابها فالمعاصى والكفر والشرك وأنواع الظلم هي شرور وإن كان لصاحبها فيها نوع غرض ولذة لكنها شرور لأنها أسباب الآلام ومفضية اليها كافضاء سائر الأسباب إلى مسبباتها فترتب الألم عليها كترتب الموت على تناول السموم القاتلة وعلى الذبح والاحراق بالنار والخنق بالحبل وغير ذلك من الأسباب التى تصيبه مفضية إلى مسبباتها ولا بد مالم يمنع السببية مانع أو يعارض السبب ما هو أقوى منه وأشد اقتضاء لضده كما يعارض سبب المعاصى قوة الايمان وعظمة الحسنات الماحية وكثرتها فيزيد فى كميتها وكيفيتها على أسباب العذاب فيدفع الأقوى الأضعف . وهذا شأن جميع الأسباب المتضادة كأسباب الصحة والمرض وأسباب الضعف والقوة . والمقصود أن هذه الأسباب التى فيها لذة مّا هي شر وإن نالت بها النفس مسرة عاجلة وهي بمنزلة طعام لذيذ شهى لكنه مسموم اذا تناوله الآكل لذ لآكله وطاب له مساغه وبعد قليل يفعل به مايفعل فهكذا المعاصى والذنوب ولا بد حتى لو لم يخبر الشارع بذلك لكان الواقع والتجربة الخاصة والعامة من أكبر شهوده وهل زالت عن أحد قط نعمة الا بشؤم معصيته فان الله اذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعى فى تغييرها عن نفسه (فان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال) ومن تأمل ماقص الله فى كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم وجد سبب

ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله وكذلك من نظر فى أحوال أهل عصره وما أزال الله عنهم من نعمه وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب كما قيل

اذا كنت فى نعمة فارعها * فان المعاصي تزيل النعم

فما حفظت نعمة الله بشيء قط مثل طاعته ولا حصلت فيها الزيادة بمثل شكره ولا زالت عن العبد بمثل معصيته لربه فانها نار النعم التى تعمل فيها كما تعمل النار فى الحطب اليابس . ومن سافر بفكره فى أحوال العالم استغنى عن تعريف غيره له . والمقصود أن هذه الأسباب شرور ولابد . وأما كون مسبباتها شرورا فلأنها آلام نفسية وبدنية فيجتمع علي صاحبها مع شدة الألم الحسى ألم الروح بالهموم والغموم والأحزان والحسرات . ولو تفطن العاقل اللبيب لهذا حق التفطن لأعطاه حقه من الحذر والجد فى الهرب ولكن قد ضرب على قلبه حجاب الغفلة ليقضى الله أمرا كان مفعولا . فلو تيقظ حق التيقظ لتقطعت نفسه فى الدنيا حسرات على ما فاته من حظه العاجل والآجل من الله وإنما يظهر له هذا حقيقة الظهور عند مفارقة هذا العالم والاشراف والاطلاع على عالم البقاء فحينئذ يقول (ياليتنى قدمت لحياتى * وياحسرتا على مافرطت فى جنب الله) ولما كان الشر هو الآلام وأسبابها كانت استعاذات النبي ﷺ جميعها مدارها على هذين الأصلين فكل ما استعاذ منه أو أمر بالاستعاذة منه فهو إما مؤلم وإما سبب يفضى اليه . فكان يتعوذ فى آخر الصلاة من أربع وأمر بالاستعاذة منهن وهى عذاب القبر وعذاب النار . فهذان أعظم المؤلمات . وفتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال . وهذان سبب العذاب المؤلم فالفتنة سبب العذاب . وذكر الفتنة خصوصا وعموما . وذكر نوعى الفتنة لأنها إما فى الحياة وإما بعد الموت ففتنة الحياة قد يتراخى عنها العذاب مدة وأما فتنة الموت فيتصل بها العذاب من غير تراخ فعادت الاستعاذة إلى الألم والعذاب وأسبابها وهذا من آكد أدعية الصلاة

حتى أوجب بعض السلف والخلف الاعادة على من لم يدع به فى التشهد الأخير وأوجبه ابن حزم فى كل تشهد فان لم يأت به فيه بطلت صلاته . ومن ذلك قوله « اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين (١) وغلبة الرجال » فاستعاذ من ثمانية أشياء كل اثنين منها قرينان فالهم والحزن قرينان وهما من آلام الروح ومعذباتها والفرق بينهما أن الهم توقع الشر فى المستقبل والحزن التألم على حصول المكروه فى الماضى أو فوات المحبوب وكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح فان تعلق بالماضى سمى حزنا وان تعلق بالمستقبل سمى هما والعجز والكسل قرينان وهما من أسباب الالم لانهما يستلزمان فوات المحبوب فالعجز يستلزم عدم القدرة والكسل يستلزم عدم ارادته فتتالم الروح لفواته بحسب تعلقها به والتذاذها بادراكه لوحصل . والجبن والبخل قرينان لانهما عدم النفع بالمال والبدن وهما من اسباب الالم لان الجبان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة لاتنال الا بالبذل والشجاعة والبخل يحول بينه ودونها أيضا فهذان الخلقان من أعظم اسباب الآلام وضلع الدين وقهر الرجال قرينان وهما مؤلمان للنفس معذبان لها . أحدهما قهر بحق وهو ضلع الدين . والثانى قهر بباطل وهو غلبة الرجال وايضا فضلع الدين قهر بسبب من العبد فى الغالب وغلبة الرجال قهر بغير اختياره . ومن ذلك تعوذه ﷺ « من المأثم والمغرم » فانهما يسببان الالم العاجل . ومن ذلك قوله « أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك » فالسخط سبب الالم والعقوبة هى الألم فاستعاذ من أعظم الآلام واقوى اسبابها *

فصل

﴿ والشر المتعاذ منه نوعان ﴾ . أحدهما موجود يطلب رفعه . والثانى معدوم يطلب

(١) ضلع الدين ثقله

بقاؤه على العدم وان لا يوجد كما أن الخير المطلق نوعان . أحدهما موجود فيطلب دوامه وثباته وان لا يسلبه . والثانى معدوم فيطلب وجوده وحصوله فهذه أربعة هي امهات مطالب السائلين من رب العالمين وعليها مدار طلباتهم . وقد جاءت هذه المطالب الاربعة فى قوله تعالى حكاية عن دعاء عباده فى آخر آل عمران فى قولهم (ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا) فهذا الطلب لدفع الشر الموجود فان الذنوب والسيئات شر كما تقدم بيانه ثم قال (وتوفنا مع الابرار)فهذا طلب ادوام الخير الموجود وهو الايمان حتى يتوفاهم عليه فهذان قسمان ثم قال(ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك) فهذا طلب للخير المعدوم أن يؤتيهم اياه ثم قال (ولا تخزنا يوم القيامة) فهذا طلب أن لا يوقع بهم الشر المعدوم وهو خزى يوم القيامة فانتظمت الآيتان المطالب الاربعة أحسن انتظام مرتبة أحسن ترتيب قدم فيها النوعان اللذان فى الدنيا وهما المغفرة ودوام الاسلام الى الموت ثم اتبعا بالنوعين اللذين في الآخرة وهما ان يعطوا ما وعدوه على ألسنة رسله وأن لا يخزيهم يوم القيامة فاذا عرف هذا فقوله ﷺ فى تشهد الخطبة « ونعوذ بالله من شرور انفسنا وسيئات اعمالنا » يتناول الاستعاذة من شر النفس الذى هو معدوم لكنه فيها بالقوة فيسأل دفعه وان لا يوجد وأما قوله « من سيئات أعمالنا » ففيه قولان. أحدهما أنه استعاذة من الاعمال السيئة التى قد وجدت فيكون الحديث قد تناول نوعى الاستعاذة من الشر المعدوم الذى لم يوجد ومن الشر الموجود فطلب دفع الاول ورفع الثانى والقول الثانى ان سيئات الاعمال هي عقوباتها وموجباتها السيئة التي تسوء صاحبها وعلى هذا يكون من استعاذه الدفع أيضا دفع المسبب والاول دفع السبب فيكون قد استعاذ من حصول الالم وأسبابه وعلى الاول يكون إضافة السيئات الى الاعمال من باب اضافة النوع الى جنسه فان الاعمال جنس وسيئاتها نوع منها. وعلى الثانى يكون من باب اضافة المسبب الى

سببه والمعلول الي علته كأنه قال من عقوبة عملى والقولان محتملان فتأمل أيهما أليق بالحديث وأولى به فان مع كل واحد منهما نوعا من الترجيح فيترجح الاول بأن منشأ الاعمال السيئة من شر النفس فشر النفس يولد الاعمال السيئة فاستعاذ من صفة النفس ومن الاعمال التى تحدث عن تلك الصفة وهذان جماع الشر واسباب كل ألم فمتى عوفى منهما عوفى من الشر بحذافيره ويترجح الثانى بأن سيئات الاعمال هى العقوبات التى تسوء العامل واسبابها شر النفس فاستعاذ من العقوبات والآلام وأسبابها والقولان فى الحقيقة متلازمان والاستعاذة من أحدهما تستلزم الاستعاذة من الآخر *

فصل

ولما كان الشر له سبب هو مصدره وله مورد ومنتهى وكان السبب اما من ذات العبد واما من خارج ومورده ومنتهاه اما نفسه واما غيره كان هنا أربعة أمور شر مصدره من نفسه ويعود على نفسه تارة وعلى غيره أخرى وشر مصدره من غيره وهو السبب فيه ويعود على نفسه تارة وعلى غيره اخري جمع النبى ﷺ هذه المقامات الاربعة فى الدعاء الذى علمه الصديق أن يقوله اذا أصبح واذا أمسى واذا أخذ مضجعه «اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد ان لا أله الا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وان اقترف على نفسى سوءا أو أجره الي مسلم» فذكر مصدرى الشر وهما النفس والشيطان وذكر موردية ونهايتيه وهما عوده على النفس أو على أخيه المسلم فجمع الحديث مصادر الشر وموارده فى أوجز لفظه وأخصره وأجمعه وأبينه *

فصل

فاذا عرف هذا فلنتكلم على الشرور المستعاذ منها فى هاتين السورتين. الشر الاول العام فى قوله من شر ماخلق وما ههنا موصولة ليس الا والشر مسند فى الآية الى المخلوق المفعول لا إلى خلق الرب تعالى الذى هو فعله وتكوينه فانه لاشر فيه بوجه مافان الشر لايدخل فى شيء من صفاته ولافى أفعاله كما لايلحق ذاته تبارك وتعالى فان ذاته لها الكمال المطلق الذى لانقص فيه بوجه من الوجوه وأوصافه كذلك لها الكمال المطلق والجلال التام ولا عيب فيها ولا نقص بوجه ما وكذلك أفعاله كلها خيرات محضة لاشر فيها أصلا ولو فعل الشر سبحانه لاشتق له منه إسم ولم تكن أسماؤه كلها حسنى ولعاد اليه منه حكم تعالى وتقدس عن ذلك وما يفعله من العدل بعباده وعقوبة من يستحق العقوبة منهم هو خير محض اذ هو محض العدل والحكمة وانما يكون شرا بالنسبة اليهم فالشر وقع فى تعلقه بهم وقيامه بهم لا فى فعله القائم به تعالى ونحن لاننكر ان الشر يكون فى مفعولاته المنفصلة فانه خالق الخير والشر . ولكن هنا أمران ينبغى أن يكونا منك على بال . أحدهما ان ماهو شر أومتضمن للشر فانه لايكون الا مفعولا منفصلا لايكون وصفا له ولا فعلا من أفعاله . الثانى ان كونه شرا هو أمر نسبى إضافى فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به وشر من جهة نسبته الى من هو شر فى حقه فله وجهان هو من أحدهما خير وهو الوجه الذى نسب منه الى الخالق سبحانه وتعالى خلقا وتكوينا ومشيئة لما فيه من الحكمة البالغة التى استأثر بعلمها وأطلع من شاء من خلقه على ماشاء منها وأكثر الناس تضيق عقولهم عن مبادى معرفتها فضلا عن حقيقتها فيكفيهم الايمان المجمل بان الله سبحانه هو الغنى الحميد وفاعل الشر لايفعله لحاجته المنافية لغناه أو لنقصه وعيبه

المنافى لحمده فيستحيل صدور الشر من الغنى الحميد فعلا وإن كان هو الخالق للخير والشر فقد عرفت ان كونه شرا هو امر إضافى وهو فى نفسه خير من جهة نسبته الى خالقه ومبدعه . فلا تغفل عن هذا الموضع فانه يفتح لك بابا عظيما من معرفة الرب ومحبته ويزيل عنك شبهات حارت فيها عقول أكثر الفضلاء . وقد بسطت هـذا فى كتاب التحفة المكية ، وكتاب الفتح القدسى ، وغيرهما. واذا أشكل عليك هذا فانا أوضحه لك بامثلة . أحدها أن السارق اذا قطعت يده فقطعها شر بالنسبة اليه وخير محض بالنسبة الى عموم الناس لما فيه من حفظ أموالهم ودفع الضرر عنهم وخير بالنسبة الى متولي القطع أمرا وحكما لما فى ذلك من الاحسان الى عبيده عموما باتلاف هذا العضو المؤذى لهم المضر بهم فهو محمود على حكمه بذلك وأمره به مشكور عليه يستحق عليه الحمد من عباده والثناء عليه والمحبة وكذلك الحكم بقتل من يصول عليهم فى دمائهم وحرماتهم وجلد من يصول عليهم فى اعراضهم فاذا كان هذا عقوبة من يصول عليهم فى دنياهم فكيف عقوبة من يصول على أديانهم ويحول بينهم وبين الهدى الذى بعث الله به رسله وجعل سعادة العباد فى معاشهم ومعادهم منوطة به أفليس فى عقوبة هذا الصائل خير محض وحكمة وعدل وإحسان الى العبيد وهى شر بالنسبة الى الصائل الباغى فالشر ماقام به من تلك العقوبة وأما مانسب إلى الرب منها من المشيئة والارادة والفعل فهو عين الخير والحكمة فلا يغلظ حجابك عن فهم هذا النبأ العظيم والسر الذى يطلعك على مسئلة القدر ويفتح لك الطريق الى الله ومعرفة حكمته ورحمته وإحسانه إلى خلقه وإنه سبحانه كما إنه البر الرحيم الودود المحسن فهو الحكيم الملك العدل فلا تناقض حكمته رحمته بل يضع رحمته وبره وإحسانه موضعه ويضع عقوبته وعدله وانتقامه وبأسه موضعه وكلاهما مقتضى عزته وحكمته وهو العزيز الحكيم فلا يليق بحكمته أن يضع رضاه ورحمته موضع العقوبة والغضب ولا يضع غضبه وعقوبته موضع رضاه ورحمته ولا يلتفت

الى قول من غلظ حجابه عن الله ان الامرين بالنسبة اليه على حد سواء ولا فرق أصلا وإنما هو محض المشيئة بلا سبب ولا حكمة وتأمل القرآن من أوله إلى آخره كيف تجده كفيلا بالرد على هذه المقالة وإنكارها أشد الانكار وتنزيه نفسه عنها كقوله تعالى (١) (أفيجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون) وقوله (أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون) وقوله (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار) فانكر سبحانه على من ظن هذا الظن ونزه نفسه عنه فدل على إنه مستقر فى الفطر والعقول السليمة ان هذا لايكون ولا يليق بحكمته وعزته وإلاهيته (لا إله إلا هو تعالى عما يقول الجاهلون علوا كبيرا) وقد فطر الله عقول عباده على استقباح وضع العقوبة والانتقام فى موضع الرحمة والاحسان ومكافأة (٢) الصنع الجميل بمثله وزيادة فاذا وضع العقوبة موضع ذلك استنكرته فطرهم وعقولهم أشد الاستنكار واستهجنته أعظم الاستهجان وكذلك وضع الاحسان والرحمة والاكرام فى موضع العقوبة والانتقام كما إذا جاء الى من يسىء الى العالم بانواع الاساءة فى كل شىء من أموالهم وحريمهم ودمائهم فاكرمه غاية الاكرام ورفعه وكرمه فان الفطر والعقول تأبى استحسان هذا وتشهد على سفه من فعله هذه فطرة الله التى فطر الناس عليها فما للعقول والفطر لاتشهد حكمته البالغة وعزته وعدله فى وضع عقوبته فى أولى المحال بها وأحقها بالعقوبة وانها لو أوليت النعم لم تحسن بها ولم تلق ولظهرت مناقضة الحكمة كما قال الشاعر

نعمة الله لاتعاب ولكن * ربما استقبحت على أقوام

فهكذا نعم الله لاتليق ولا تحسن ولا تجمل باعدائه الصادين عن سبيله الساعين فى خلاف مرضاته الذين يرضون اذاغضب ويغضبون اذارضى ويعطلون ماحكم

(١) القراءة المشهورة أفنجعل بالنون (٢) معطوف على مجرور على وهو استقباح اه

به ويسعون فى أن تكون الدعوة لغيره والحكم لغيره والطاعة لغيره فهم مضادون فى كل مايريد يحبون مايبغضه ويدعون اليه ويبغضون مايحبه وينفرون عنه ويوالون أعداءه وأبغض الخلق اليه ويظاهرونهم عليه وعلى رسوله كما قال تعالى (وكان الكافر على ربه ظهيرا) وقال (واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو) فتأمل ماتحت هذا الخطاب الذى يسلب الأرواح حلاوة وعقابا وجلالة وتهديدا كيف صدره باخبارنا انه امر ابليس بالسجود لآبينا فابى ذلك فطرده ولعنه وعاداه من أجل إبائه عن السجود لابينا ثم أنتم توالونه من دونى وقد لعنته وطردته اذ لم يسجد لابيكم وجعلته عدوا لكم ولابيكم فواليتموه وتركتمونى فليس هذا من أعظم الغبن وأشد الحسرة عليكم ويوم القيامة يقول تعالى أليس عدلا منى أن أولى كل رجل منكم ما كان يتولى فى دار الدنيا فليعلمن أولياء الشيطان كيف حالهم يوم القيامة إذا ذهبوا مع أوليائهم وبقى أولياء الرحمن لم يذهبوا مع احد فيتجلى لهم ويقول الا تذهبون حيث ذهب الناس فيقولون فارقنا الناس أحوج ما كنا اليهم وانما ننتظر ربنا الذى كنا نتولاه ونعبده فيقول هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم إنه لامثل له فيتجلى لهم ويكشف عن ساق فيخرون له سجدا فياقرة عيون أوليائه بتلك الموالاة ويا فرحهم إذا ذهب الناس مع أوليائهم وبقوا مع مولاهم الحق فسيعلم المشركون به الصادون عن سبيله انهم ما كانوا أولياءه إن أولياءه الا المتقون ولكن أكثرهم لايعلمون ولا تستطل هذا البساط فما أحوج القلوب إلى معرفته وتعقله ونزولها منه منازلها فى الدنيا لتنزل فى جوار ربها فى الآخرة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا *

فصل

إذا عرف هذا عرف معنى قوله ﷺ في الحديث الصحيح « لبيك وسعديك والخير فى يديك والشر ليس اليك » وإن معناه أجل وأعظم من قول من قال والشر لا يتقرب به اليك وقول من قال والشر لا يصعد اليك وأن هذا الذى قالوه وإن تضمن تنزيهه عن صعود الشر اليه والتقرب به اليه فلا يتضمن تنزيهه فى ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر بخلاف لفظ المعصوم الصادق المصدق فانه يتضمن تنزيهه فى ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر اليه بوجه ما لا فى صفاته ولا فى أفعاله ولا فى أسمائه وان دخل فى مخلوقاته كقوله ﴿ قل أعوذ برب الفلق من شر ماخلق وتأمل طريقة القرآن فى إضافة الشر تارة الى سببه ومن قام به كقوله (والكافرون هم الظالمون) وقوله (والله لا يهدى القوم الفاسقين) وقوله فبظلم من الذين هادوا وقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وقوله وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين وهو فى القرآن أكثر من أن يذكر ههنا عشر معشاره وانما المقصود التمثيل وتارة بحذف فاعله كقوله تعالى حكاية عن مؤمنى الجن (وإنا لا ندرى أشر أريد بمن فى الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا) فحذفوا فاعل الشر ومريده وصرحوا بمريد الرشد . ونظيره فى الفاتحة (صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) فذكر النعمة مضافة اليه سبحانه والضلال منسوبا إلى من قام به والغضب محذوفا فاعله . ومثله قول الخضر فى السفينة (فأردت أن أعيبها) وفى الغلامين (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك) ومثله قوله (ولكن الله حبب إليكم الايمان وزينه فى قلوبكم وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان) فنسب هذا التزيين المحبوب اليه . وقال (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين) فحذف الفاعل المزين . ومثله قول الخليل ﷺ (الذى خلقنى

فهو يهدين * والذى هو يطعمنى ويسقين * وإذا مرضت فهو يشفين * والذى يميتنى ثم يحيين * والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتي يوم الدين) فنسب إلى ربه كل كمال من هذه الأفعال ونسب الى نفسه النقص منها وهو المرض والخطيئة وهذا كثير فى القرآن ذكرنا منه أمثلة كثيرة فى كتاب الفوائد المكية وبينا هناك السر فى مجىء (الذين آتيناهم الكتاب * والذين أوتوا الكتاب والفرق بين الموضعين وأنه حيث ذكر الفاعل كان من آتاه الكتاب واقعا فى سياق المدح . وحيث حذفه كان من أوتيه واقعاً فى سياق الذم أو منقسما وذلك من أسرار القرآن . ومثله (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا) وقال (وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب) وقوله (فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الادنى)وبالجملة فالذى يضاف الى الله تعالى كله خير وحكمة ومصلحة وعدل والشر ليس اليه*

فصل

وقد دخل فى قوله تعالي من شر ماخلق الاستعاذة من كل شر فى اى مخلوق قام به الشر من حيوان أوغيره انسيا كان اوجنيا اوهامة اودابة اوريحا اوصاعقة أى نوع كان من انواع البلاء ﴿فان قلت﴾ فهل فى ماهنا عموم قلت فيها عموم تقييدى وصفى لاعموم اطلاقى والمعنى من شر كل مخلوق فيه شر فعمومها من هذا الوجه وليس المراد الاستعاذة من شر كل ماخلقه الله فان الجنة وما فيها ليس فيها شر وكذلك الملائكة والانبياء فانهم خير محض والخير كله حصل على ايديهم فالاستعاذة من شر ماخلق تعم شر كل مخلوق فيه شر و كل شر فى الدنيا والآخرة وشر شياطين الانس والجن وشر السباع والهوام وشر النار والهواء وغير ذلك .وفى الصحيح عن النبي ﷺ انه قال«من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات

من شر ماخلق لم يضره شيء حتى يرتحل منه» رواه مسلم وروى ابوداود فى سننه عن عبدالله بن عمر قال« كان رسول الله ﷺ اذا سافر فاقبل الليل قال ياأرض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر مافيك وشر ماخلق فيك وشر مايدب عليك اعوذ بالله من اسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ومن والد وما ولد» وفي الحديث الآخر «أعوذ بكلمات الله التامة التى لايجاوزها بر ولا فاجر من شرماخلق وذرأ وبرأ ومن شر مانزل من السماء وما يعرج فيهاومن شر ماذرأ فى الارض ومايخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار ومن شر كل طارق الاطارقا يطرق بخير يارحمن»*

فصل

﴿الشر الثانى﴾ شر الغاسق اذا وقب فهذا خاص بعد عام وقد قال اكثر المفسرين انه الليل قال ابن عباس الليل اذاأقبل بظلمته من الشرق ودخل فى كل شيء واظلم والغسق الظلمة يقال غسق الليل واغسق اذا اظلم ومنه قوله تعالى أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل وكذلك قال الحسن ومجاهد الفاسق اذا وقب الليل اذا اقبل ودخل والوقوب الدخول وهو دخول الليل بغروب الشمس وقال مقاتل يعنى ظلمة الليل اذا دخل سواده فى ضوء النهار وفى تسمية الليل غاسقا قول آخر انه من البرد والليل ابرد من النهار والغسق البرد وعليه حمل ابن عباس قوله تعالى (هذا فليذوقوه حميم وغساق) وقوله لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الاحميما وغساقا قال هو الزمهرير يحرقهم ببرده كما تحرقهم النار بحرها وكذلك قال مجاهد ومقاتل هو الذى انتهي برده ولاتنافي بين القولين فان الليل بارد مظلم فمن ذكر برده فقط اوظلمته فقط اقتصر على احد وصفيه والظلمة فى الآية أنسب لمكان الاستعاذة فان الشر الذى يناسب الظلمه اولى بالاستعاذة من البرد الذى

فى الليل ولهذا استعاذ برب الفلق الذى هو الصبح والنور من شر الغاسق الذى هو الظلمة فناسب الوصف المستعاذ به المعنى المطلوب بالاستعاذة كما سنزيده تقريرا عن قريب ان شاء الله ﴿فان قيل﴾ فما تقولون فيما رواه الترمذى من حديث ابن ابى ذئب عن الحرث بن عبد الرحمن عن أبى سلمة عن عائشة قالت «اخذ النبي ﷺ بيدى فنظر الى القمر فقال ياعائشة استعيذى بالله من شر هذا فان هذا هو الفاسق اذا وقب» قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وهذا اولي من كل تفسير فيتعين المصير اليه قيل هذا التفسير حق ولا يناقض التفسير الاول بل يوافقه ويشهد بصحته فان الله تعالى قال (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالقمر هو آية الليل وسلطانه فهو ايضا غاسق اذا وقب كما ان الليل غاسق اذا وقب والنبي ﷺ اخبر عن القمر بانه غاسق اذا وقب وهذا خبر صدق وهو اصدق الخبر ولم ينف عن الليل اسم الفاسق اذا وقب وتخصيص النبي ﷺ له بالذكر لا ينفى شمول الاسم لغيره ونظير هذا قوله فى المسجد الذى أسس على التقوى وقد سئل عنه فقال هو مسجدى هذا ومعلوم ان هذا لا ينفى كون مسجد قبا مؤسسا على التقوى مثل ذلك ونظيره ايضا قوله فى علي وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين اللهم هؤلاء أهل بيتى فان هذا لا ينفى دخول غيرهم من اهل بيته فى لفظ أهل البيت ولكن هؤلاء احق من دخل فى لفظ أهل بيته ونظير هذا قوله ليس المسكين بهذا الطواف الذى ترده اللقمة واللقمتان والتمرة والتمرتان ولكن المسكين الذى لا يسأل الناس شيئا ولا يفطن له فيتصدق عليه وهذا لا ينفى اسم المسكنة عن الطواف بل ينفى اختصاص الاسم به وتناول المسكين لغير السائل أولي من تناوله له ونظير هذا قوله ليس الشديد بالصرعة ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب فانه لا يقتضى نفى الاسم عن الذى يصرع الرجال ولكن يقتضى ان ثبوته للذي يملك نفسه عند الغضب

أولى ونظيره الغسق والوقوب وامثال ذلك فكذلك قوله في القمر هذا هو الغاسق اذا وقب لا ينفي ان يكون الليل غاسقا بل كلاهما غاسق ﴿فان قيل﴾ فما تقولون في القول الذى ذهب اليه بعضهم ان المراد به القمر اذا خسف واسود وقوله وقب اى دخل في الخسوف او غاب خاسفا ﴿قيل﴾ هذا القول ضعيف ولا نعلم به سلفا والنبى ﷺ لما اشار الى القمر وقال هذا الغاسق اذا وقب لم يكن خاسفا اذ ذاك وانما كان وهو مستنير ولو كان خاسفا لذكرته عائشة وانما قالت نظر الي القمر وقال هذا هو الغاسق ولو كان خاسفا لم يصح ان يحذف ذلك الوصف منه فان ما أطلق عليه اسم الغاسق باعتبار صفة لا يجوز ان يطلق عليه بدونها لما فيه من التلبيس وايضاً فان اللغة لا تساعد على هذا فلا نعلم احدا قال الغاسق القمر فى حال خسوفه وايضاً فان الوقوب لا يقول احد من اهل اللغة انه الخسوف وانما هو الدخول من قولهم وقبت العين اذا غارت وركية وقبار غارماؤها فدخل فى اعماق التراب ومنه الوقب للثقب الذى يدخل فيه المحور وتقول العرب وقب يقب وقوبا اذا دخل ﴿فان قيل﴾ فما تقولون في القول الذى ذهب اليه بعضهم ان الغاسق هو الثريا اذا سقطت فان الاسقام تكثر عند سقوطها وغروبها وترتفع عند طلوعها قيل ان اراد صاحب هذا القول اختصاص الغاسق بالنجم اذا غرب فباطل وان أراد ان اسم الغاسق يتناول ذلك بوجه ما فهذا يحتمل ان يدل اللفظ عليه بفحواه ومقصوده وتنبيهه واما أن يختص اللفظ به فباطل*

فصل

والسبب الذى لاجله امر الله بالاستعاذة من شر الليل وشر القمر اذا وقب هو ان الليل اذا أقبل فهو محل سلطان الارواح الشريرة الخبيثة وفيه تنتشر الشياطين وفى الصحيح ان النبى ﷺ اخبر ان الشمس اذا غربت انتشرت الشياطين ولهذا

قال فاكفتوا صبيانكم واحبسوا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء . وفى حديث آخر فان الله يبث من خلقه مايشاء والليل هو محل الظلام وفيه تتسلط شياطين الانس والجن مالا تتسلط بالنهار فان النهار نور والشياطين انما سلطانهم فى الظلمات والمواضع المظلمة وعلى أهل الظلمه وروى ان سائلا سأل مسيلمة كيف يأتيك الذى يأتيك فقال فى ظلماء حندس وسأل النبى ﷺ كيف يأتيك فقال فى مثل ضوء النهار فاستدل بهذا على نبوته وإن الذى يأتيه ملك من عند الله وان الذى يأتى مسيلمة شيطان ولهذا كان سلطان السحر وعظم تأثيره انما هو بالليل دون النهار فالسحر الليلي عندهم هو السحر القوى التأثير ولهذا كانت القلوب المظلمة هى محال الشياطين وبيوتهم ومأواهم والشياطين تجول فيها وتتحكم كما يتحكم ساكن البيت فيه وكلما كان القلب أظلم كان للشيطان أطوع وهو فيه اثبت وأمكن*

فصل

ومن ههنا تعلم السر فى الاستعاذة برب الفلق فى هذا الموضع فان الفلق الصبح الذى هو مبدأ ظهور النور وهو الذى يطرد جيش الظلام وعسكر المفسدين فى الليل فيأوى كل خبيث وكل مفسد وكل لص وكل قاطع طريق الى سرب او كن اوغار وتأوى الهوام الى احجرتها والشياطين التى انتشرت بالليل الى امكنتها ومحالها فامر الله عباده ان يستعيذوا برب النور الذى يقهر الظلمة ويزيلها ويقهر عسكرها وجيشها ولهذا ذكر سبحانه فى كل كتاب انه يخرج عباده من الظلمات الى النور ويدع الكفار فى ظلمات كفرهم قال تعالى (الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الي الظلمات) وقال تعالى (أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها) وقال فى اعمار الكفار (او كظلمات فى

بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور) وقد قال قبل ذلك فى صفات اهل الايمان ونورهم (الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى يوقد من شجرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولولم تمسسه نار نور على نور يهدى الله لنوره من يشاء فالايمان كله نور ومآله الى نور ومستقره فى القلب المضيء المستنير والمقترن بأهله الارواح المستنيرة المضيئة المشرقة والكفر والشرك كله ظلمة ومآله الي الظلمات ومستقره فى القلوب المظلمة والمقترن بها الأرواح المظلمة فتأمل الاستعاذة برب الفلق من شر الظلمة ومن شر مايحدث فيها ونزل هذا المعنى على الواقع يشهد بأن القرآن بل هاتان السورتان من اعظم أعلام النبوة وبراهين صدق رسالة محمد ﷺ ومضادة لما جاء به الشياطين من كل وجه وان ماجاء به ماتنزلت به الشياطين وماينبغى لهم ومايستطيعون فما فعلوه ولا يليق بهم ولا يتأتى منهم ولا يقدرون عليه وفى هذا أبين جواب واشفاه لما يورده اعداء الرسول عليه من الاسئلة الباطلة التى قصر المتكلمون غاية التقصير فى دفعها وماشفوا فى جوابها وانما الله سبحانه هو الذى شفى وكفي فى جوابها فلم يحوجنا الى متكلم ولا الى اصولى ولا انظار فله الحمد والمنه لا نحصى ثناء عليه*

فصل

واعلم ان الخلق كله فلق وذلك ان فلقا فعل بمعنى مفعول كقبض وسلب وقنص بمعنى مقبوض ومسلوب ومقنوص والله عز وجل فالق الاصباح وفالق الحب والنوى وفالق الارض عن النبات والجبال عن العيون والسحاب عن المطر والارحام عن الاجنة والظلام عن الاصباح ويسمى الصبح المتصدع عن الظلمة فلقا وفرقا يقال هو

أبيض من فرق الصبح وفلقه . وكما أن فى خلقه فلقا وفرقا فكذلك أمره كله فرقان يفرق بين الحق والباطل فيفرق ظلام الباطل بالحق كما يفرق ظلام الليل بالاصباح ولهذا سمى كتابه الفرقان ونصره فرقانا لتضمنه الفرق بين أوليائه وأعدائه ومنه فلقه البحر لموسى وسماه فلقا فظهرت حكمة الاستعاذة برب الفلق فى هذه المواضع وظهر بهذا إعجاز القرآن وعظمته وجلالته وان العباد لايقدرون قدره ﴿ وإنه تنزيل من حكيم حميد ﴾*

فصل

﴿ الشر الثالث ﴾ شر النفاثات فى العقد وهذا الشر هو شر السحر فان النفاثات فى العقد هن السواحر اللاتى يعقدن الخيوط وينفثن على كل عقدة حتى ينعقد مايردن من السحر والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل وهو مرتبة بينهما والنفث فعل الساحر فاذا تكيفت نفسه بالخبث والشر الذى يريده بالمسحور ويستعين عليه بالارواح الخبيثة نفخ فى تلك العقد نفخا معه ريق فيخرج من نفسه الخبيثة نفس ممازج للشر والأذى مقترن بالريق الممازج لذلك وقد تساعد هو والروح الشيطانية على أذى المسحور فيقع فيه السحر باذن الله الكونى القدرى لا الأمر الشرعى ﴿ فان قيل ﴾ فالسحر يكون من الذكور والاناث فلم خص الاستعاذة من الاناث دون الذكور ﴿ قيل فى جوابه ﴾ ان هذا خرج على السبب الواقع وهو ان بنات لبيد بن أعصم سحر النبى ﷺ . هذا جواب أبى عبيدة وغيره وليس هذا بسديد فان الذى سحر النبى ﷺ هو لبيد بن أعصم كما جاء فى الصحيح والجواب المحقق ان النفاثات هنا هن الارواح والأنفس النفاثات لا النساء النفاثات لان تأثير السحر انما هو من جهة الانفس الخبيثة والأرواح الشريرة وسلطانه انما يظهر منها فلهذا ذكرت النفاثات هنا بلفظ التأنيث دون

التذكير والله أعلم . ففي الصحيح عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة « ان النبي ﷺ طب حتى إنه ليخيل اليه إنه صنع شيئاً وما صنعه وانه دعا ربه ثم قال أشعرت ان الله قد أفتاني فيما استفتيته فيه فقالت عائشة وماذاك يارسول الله قال جاءني رجلان فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال أحدهما لصاحبه ماوجع الرجل قال الآخر مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قاله فيماذا قال في مشط ومشاطه وجف طلع ذكر قال فاين هو قال في ذروان بئر في بني زريق قالت عائشة رضي الله عنها فاتاها رسول الله ﷺ ثم رجع الى عائشة فقال والله لكأن ماءها نقاعة الحنا ولكأن نخلها رؤس الشياطين قال فقلت له يارسول الله هلا أخرجته قال أما أنا فقد شفاني الله وكرهت أن أثير على الناس شرا فامر بها فدفنت » قال البخاري وقال الليث وابن عيينة عن هشام في مشط ومشاقة ويقال ان المشاطه مايخرج من الشعر اذا مشط والمشاقه من مشاقة الكتان ﴿ قلت ﴾ هكذا في هذه الرواية إنه لم يخرجه اكتفاء بعافاة الله له وشفائه إياه وقد روى البخاري من حديث ابن عيينة قال أول من حدثنا به ابن جريج يقول حدثني آل عروة عن عروة فسألت هشاما عنه فحدثنا عن أبيه عن عائشة « كان رسول الله ﷺ سحر حتى كان يري أنه يأتي النساء ولا يأتيهن قال سفيان وهذا أشد مايكون من السحر إذا كان كذا فقال ياعائشة أعلمت ان بالله قد أفتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال الذي عند رأسي للآخر مابال الرجل قال مطبوب قال ومن طبه قال لبيد بن الأعصم رجل من بني زريق حليف ليهود وكان منافقا قال وفيم قال في مشط ومشاقة قال وأين قال في جف طلع ذكر تحت رعوفة في بئر ذروان قال فاتى البئر حتى استخرجه فقال هذه البئر التي أريتها وكأن ماءها نقاعة الحناء وكأن نخلها رؤس الشياطين قال فاستخرج قالت فقلت أفلا أي تنشرت قال أما الله فقد شفاني وأكره أن أثير على أحد من الناس شرا » ففي هذا الحديث انه استخرجه وترجم البخاري عليه باب هل يستخرج

السحر وقال قتادة قلت لسعيد بن المسيب رجل به طب ويؤخذ عن امرأته أيحل عنه وينشر قال لا بأس به إنما يريدون به الاصلاح فاما ماينفع الناس فلم ينه عنه فهذان الحديثان قد يظن فى الظاهر تعارضهما فان حديث عيسى عن هشام عن أبيه الأول فيه أنه لم يستخرجه وحديث ابن جريج عن هشام فيه أنه استخرجه ولا تنافي بينهما فانه استخرجه من البئر حتى رآه وعلمه ثم دفنه بعد ان شفى وقول عائشة هلا استخرجته أى هلا أخرجته للناس حتى يروه ويعاينوه فاخبرها بالمانع له من ذلك وهو أن المسلمين لم يكونوا ليسكتوا عن ذلك فيقع الانكار ويغضب للساحر قومه فيحدث الشر وقد حصل المقصود بالشفاء والمعافاة فامر بها فدفنت ولم يستخرجها للناس فالاستخراج الواقع غير الذي سألت عنه عائشة والذى يدل عليه انه ﷺ انما جاء الى البئر ليستخرجها منه ولم يجىء اليه لينظر اليها ثم ينصرف اذ لا غرض له فى ذلك والله أعلم ﴿وهذا الحديث﴾ ثابت عند أهل العلم بالحديث متلقى بالقبول بينهم لا يختلفون فى صحته وقد اعتاض على كثير من أهل الكلام وغيرهم وانكروه أشد الانكار وقابلوه بالتكذيب وصنف بعضهم فيه مصنفا مفردا حمل فيه على هشام وكان غاية ما أحسن القول فيه أن قال غلط واشتبه عليه الأمر ولم يكن من هذا شىء قال لأن النبى ﷺ لا يجوز أن يسحر فانه يكون تصديقا لقول الكفار (إن تتبعون إلا رجلا مسحوراً) قالوا وهذا كما قال فرعون لموسي (وإنى لأظنك يا موسى مسحورا) وقال قوم صالح له (إنما أنت من المسحرين) وقال قوم شعيب له (إنما أنت من المسحرين) قالوا فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا فان ذلك ينافى حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين . وهذا الذى قاله هؤلاء مردود عند أهل العلم فان هشاماً من أوثق الناس وأعلمهم ولم يقدح فيه أحد من الأئمة بما يوجب رد حديثه فما للمتكلمين وما لهذا الشأن وقد رواه غير هشام عن عائشة . وقد اتفق أصحاب الصحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحد من أهل الحديث بكلمة واحدة والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن

والحديث والتاريخ والفقهاء وهؤلاء أعلم باحوال رسول الله وأيامه من المتكلمين قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن يزيد بن حباب عن زيد بن أرقم قال سحر النبي ﷺ رجل من اليهود فاشتكى لذلك أياما قال فاتاه جبريل فقال إن رجلا من اليهود سحرك وعقد لذلك عقدا فارسل رسول الله ﷺ عليا فاستخرجها فجاء بها فجعل كلما حل عقدة وجد لذلك خفة فقام رسول الله ﷺ كانما أنشط من عقال فما ذكر ذلك لليهودي ولا رآه في وجهه قط. وقال ابن عباس وعائشة كان غلام من اليهود يخدم رسول الله ﷺ فدنت اليه اليهود فلم يزالوا حتى أخذ مشاطة رأس النبي ﷺ وعدة أسنان من مشطه فاعطاها اليهود فسحروه فيها وتولى ذلك لبيد بن الاعصم رجل من اليهود فنزلت هاتان السورتان فيه. قال البغوي وقيل كانت مغروزة بالدبر فانزل الله عز وجل هاتين السورتين وهما أحد عشر آية سورة الفلق خمس آية وسورة الناس ستة آيات فكلما قرأ آية انحلت عقدة حتى انحلت العقد كلها فقام النبي ﷺ كانما أنشط من عقال قال وروى انه لبث فيه ستة أشهر واشتد عليه ثلاثة ايام فنزلت المعوذتان قالوا والسحر الذي أصابه كان مرضا من الأمراض عارضا شفاه الله منه ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه ما فان المرض يجوز على الانبياء وكذلك الاغماء فقد أغمى عليه ﷺ في مرضه ووقع حين انفكت قدمه وجحش شقه(١) وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته وأشد الناس بلاء الانبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس فليس ببدع أن يبتلى النبي ﷺ من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلى بالذي رماه فشجه وابتلى بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد وغير ذلك فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله قالوا وقد ثبت في الصحيح

(١) في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم سقط من فرس فجحش شقه أي انخدش جلده اهـ نهايه

عن أبي سعيد الخدري ان جبريل أتى النبي ﷺ فقال يامحمد اشتكيت فقال نعم فقال باسم الله ارقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك بسم الله ارقيك» فعوذه جبريل من شر كل نفس وعين حاسد لما اشتكى فدل على أن هذا التعويذ مزيل لشكايته ﷺ والا فلا يعوذه من شيء وشكايته من غيره قالوا وأما الآيات التي استدللتم بها لاحجة لكم فيها أما قوله تعالى عن الكفار انهم قالوا ان تتبعون الا رجلا مسحورا وقول قوم صالح له انما أنت من المسحرين فقيل المراد به من له سحر وهي الرئة أي انه بشر مثلهم يأكل ويشرب ليس بملك ليس المراد به السحر وهذا جواب غير مرضي وهو في غاية البعد فان الكفار لم يكونوا يعبرون عن البشر بمسحور ولا يعرف هذا في لغة من اللغات وحيث ارادوا هذا المعنى اتوا بصريح لفظ البشر فقالوا ما أنتم الا بشر مثلنا أنؤمن لبشرين مثلنا أبعث الله بشرا رسولا. وأما المسحور فلم يريدوا به ذا السحر وهي الرئة وأي مناسبة لذكر الرئة في هذا الموضع ثم كيف يقول فرعون لموسى (اني لاظنك ياموسى مسحورا) افتراه ماعلم أن له سحرا وأنه بشر ثم كيف يجيبه موسى بقوله (اني لاظنك يافرعون مثبورا) ولو أراد بالمسحور انه بشر لصدقه موسى وقال نعم أنا بشر أرسلني الله اليك كما قالت الرسل لقومهم لما قالوا لهم ان أنتم الا بشر مثلنا فقالوا ان نحن الا بشر مثلكم ولم ينكروا ذلك فهذا الجواب في غاية الضعف وأجابت طائفة منهم ابن جرير وغيره بان المسحور هنا هو معلم السحر الذي قد علمه اياه غيره فالمسحور عنده بمعنى ساحر * أي عالم بالسحر وهذا جيدان ساعدت عليه اللغة وهو ان من علم السحر يقال له مسحور ولا يكاد هذا يعرف في الاستعمال ولا في اللغة وانما المسحور من سحره غيره كالمطبوب والمضروب والمقتول ﴿ وبابه ﴾ وأما من علم السحر فانه يقال له ساحر بمعنى انه عالم بالسحر وان لم يسحر غيره كما قال قوم فرعون لموسى (ان هذا لساحر عليم) ففرعون قذفه بكونه مسحورا وقومه قذفوه بكونه ساحرا فالصواب هو الجواب الثالث

وهو جواب صاحب الكشاف وغيره ان المسحور على بابه وهو من سحر حتى جن فقالوا مسحور مثل مجنون زائل العقل لا يعقل مايقول فان المسحور الذى لايتبع هو الذى فسد عقله بحيث لا يدرى مايقول فهو كالمجنون ولهذا قالوا فيه (معلم مجنون) فاما من أصيب فى بدنه بمرض من الامراض يصاب به الناس فانه لا يمنع ذلك من اتباعه وأعداء الرسل لم يقذفوهم بامراض الابدان وانما قذفوهم بما يحذرون به سفهاءهم من أتباعهم وهو انهم قد سحروا حتى صاروا لا يعلمون مايقولون بمنزلة المجانين ولهذا قال تعالى (انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا) مثلوك بالشاعر مرة والساحر أخرى والمجنون مرة والمسحور أخرى فضلوا فى جميع ذلك ضلال من يطلب فى تيهه وتحيره طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فانه أى طريق أخذها فهى طريق ضلال وحيرة فهو متحير فى أمره لا يهتدى سبيلا ولا يقدر على سلوكها فهكذا حال أعداء رسول الله ﷺ معه حتى ضربوا له أمثالا برأه الله منها وهو أبعد خلق الله منها وقد علم كل عاقل انها كذب وافتراء وبهتان وأما قولكم ان سحر الانبياء ينافى حماية الله لهم فانه سبحانه كما يحميهم ويصونهم ويحفظهم ويتولاهم فيبتليهم بما شاء من أذى الكفار لهم ليستوجبوا كمال كرامته وليتسلى بهم من بعدهم من امتهم وخلفائهم اذا اوذوا من الناس فرأوا ماجرى على الرسل والانبياء صبروا ورضوا وتأسوا بهم ولتمتلىء صاع الكفار فيستوجبون ماأعد لهم من النكال العاجل والعقوبة الاجلة فيمحقهم بسبب بغيهم وعداوتهم فيعجل تطهير الارض منهم فهذا من بعض حكمته تعالى في ابتلاء انبيائه ورسله بايذاء قومهم وله الحكمة البالغة والنعمة السابغة لا اله غيره ولا رب سواه

فصل

وقد دل قوله (ومن شر النفاثات في العقد) وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر وان له حقيقة وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وقالوا انه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض ولا قتل ولا حل ولا عقد قالوا وانما ذلك تخييل لأعين الناظرين لا حقيقة له سوى ذلك وهذا خلاف ما تواترت به الآثار عن الصحابة والسلف واتفق عليه الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف وما يعرفه عامة العقلاء والسحر الذي يؤثر مرضا وثقلا وحلا وعقدا وحبا وبغضا ونزيفا وغير ذلك من الآثار موجود تعرفه عامة الناس وكثير منهم قد علمه ذوقا بما أصيب به منه وقوله تعالى (من شر النفاثات في العقد) دليل على ان هذا النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه ولو كان الضرر لا يحصل الا بمباشرة البدن ظاهرا كما يقوله هؤلاء لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه وأيضا فاذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به مع ان هذا تغير في احساسهم فما الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض اعراضهم وقواهم وطباعهم وما الفرق بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير في صفة أخرى من صفات النفس والبدن فاذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركا والمتصل منفصلا والميت حيا فما المحيل لان يغير صفات نفسه حتى يجعل المحبوب اليه بغيضا والبغيض محبوبا وغير ذلك من التأثيرات وقد قال تعالى عن سحرة فرعون (انهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم) فبين سبحانه ان أعينهم سحرت وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي وهو الحبال والعصى مثل أن يكون السحرة استعانت بأرواح حركتها وهي الشياطين فظنوا انها تحركت بأنفسها وهذا كما اذا جر من لا يراه

حصيرا او بساطا فترى الحصير والبساط ينجر ولا ترى الجار له مع انه هو الذى يجره فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين فقلبتها كتقلب الحية فظن الرائى انها تقلبت بأنفسها والشياطين هم الذين يقلبونها وإما أن يكون التغيير حدث فى الرائى حتى رأى الحبال والعصي تتحرك وهى ساكنة فى أنفسها ولا ريب ان الساحر يفعل هذا وهذا فتارة يتصرف فى نفس الرأي واحساسه حتى يرى الشيء بخلاف ماهو به وتارة يتصرف فى المرئى باستعانته بالارواح الشيطانية حتى يتصرف فيها وأما ما يقوله المنكرون من انهم فعلوا فى الحبال والعصى ماأوجب حركتها ومشيها مثل الزيبق وغيره حتى سعت فهذا باطل من وجوه كثيرة فانه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا بل حركة حقيقية ولم يكن ذلك سحرا لاعين الناس ولا يسمى ذلك سحرا بل صناعة من الصناعات المشتركة وقد قال تعالى (فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى) ولو كانت تحركت بنوع حيلة كما يقوله المنكرون لم يكن هذا من السحر فى شيء ومثل هذا لايخفى وايضاً لو كان ذلك بحيلة كما قال هؤلاء لكان طريق ابطالها اخراج مافيها من الزيبق وبيان ذلك المحال ولم يحتج الى القاء العصا لابتلاعها وايضاً فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها الى الاستعانة بالسحرة بل يكفي فيها حذاق الصناع ولا يحتاج في ذلك الى تعظيم فرعون للسحرة وخضوعه لهم ووعدهم بالتقريب والجزاء وايضاً فانه لا يقال فى ذلك انه لكبيركم الذى علمكم السحر فان الصناعات يشترك الناس فى تعلمها وتعليمها وبالجملة فبطلان هذا اظهر من ان يتكلف رده فلنرجع الى المقصود *

فصل

﴿الشر الرابع﴾ شر الحاسد اذا حسد وقد دل القرآن والسنة على ان نفس حسد الحاسد يؤذى المحسود فنفس حسده شر يتصل بالمحسود من نفسه وعينه وان لم

يؤذه بيده ولا لسانه فان الله تعالى قال (ومن شر حاسد اذا حسد) فحقق الشر منه عند صدور الحسد. والقرآن ليس فيه لفظة مهملة ومعلوم ان الحاسد لا يسمى حاسدا الا اذا قام به الحسد كالضارب والشاتم والقاتل ونحو ذلك ولكن قد يكون الرجل فى طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود لاه عنه فاذا خطر على ذكره وقلبه انبعثت نار الحسد من قلبه إليه ووجهت اليه سهام الحسد من قبله فيتأذى المحسود بمجرد ذلك فان لم يستعذ بالله ويتحصن به ويكون له اوراد من الاذكار والدعوات والتوجه الى الله والاقبال عليه بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه واقباله على الله وإلا ناله شر الحاسد ولا بد فقوله تعالى (اذا حسد) بيان لان شره انما يتحقق اذا حصل منه الحسد بالفعل وقد تقدم فى حديث ابى سعيد الصحيح رقية جبريل النبي ﷺ وفيها « بسم الله ارقيك، من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس او عين حاسد الله يشفيك » فهذا فيه الاستعاذة من شر عين الحاسد ومعلوم ان عينه لا تؤثر بمجردها اذ لو نظر اليه نظر لاه ساه عنه كما ينظر الى الارض والجبل وغيره لم يؤثر فيه شيئا وانما اذا نظر اليه نظر من قد تكيفت نفسه الخبيثة وانسمت واحتدت فصارت نفسا غضبية خبيثة حاسدة اثرت بها تلك النظرة فأثرت فى المحسود تأثيراً بحسب صفة ضعفه وقوة نفس الحاسد فربما أعطبه واهلكه بمنزلة من فوق سهما نحو رجل عريان فاصاب منه مقتلا وربما صرعه وامرضه والتجارب عند الخاصة والعامة بهذا اكثر من أن تذكر. وهذه العين انما تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة وهى فى ذلك بمنزلة الحية التى انما يؤثر سمها اذا عضت واحتدت فانها تتكيف بكيفية الغضب والخبث فتحدث فيها تلك الكيفية السم فتؤثر فى الملسوع وربما قويت تلك الكيفية واشتدت في نوع منها حتى تؤثر بمجرد نظرة فتطمس البصر وتسقط الحبل كما ذكره النبي ﷺ فى الابتر وذى الطفيتين منها وقال اقتلوهما فانهما يطمسان البصر ويسقطان الحبل فاذا كان هذا فى الحيات فما الظن فى النفوس الشريرة الغضبية الحاسدة اذا تكيفت بكيفيتها الغضبية وانسمت وتوجهت

الى المحسود بكيفيتها فلله كم من قتيل وكم من سليب وكم من معافى عاد مضنى على فراشه يقول طبيبه لااعلم داءه ماهو فصدق ليس هذا الداء من علم الطبائع هذا من علم الارواح وصفاتها وكيفياتها ومعرفة تأثيراتها فى الاجسام والطبائع وانفعال الاجسام عنها وهذا علم لايعرفه الاخواص الناس والمحجوبون منكرون له ولايعلم تأثير ذلك وارتباطه بالطبيعة وانفعالها عنه الا من له نصيب من ذوقه وهل الاجسام الا كالخشب الملقى وهل الانفعال والتأثر وحدوث مايحدث عنها من الافعال العجيبه والآثار الغريبة الامن الارواح والاجسام آلتها بمنزلة آلة الصانع فالصنعة فى الحقيقة له والآلات وسائط فى وصول أثره الى الصنع ومن له أدنى فطنة وتأمل احوال العالم ولطفت روحه وشاهدت احوال الارواح وتأثيراتها وتحريكها الاجسام وانفعالها عنها كل ذلك بتقدير العزيز العليم خالق الاسباب والمسببات رأى عجائب فى الكون وآيات دالة على وحدانية الله وعظمته وربوبيته وان ثم عالما آخر تجرى عليه احكام أخر تشهد آثارها واسبابها غيب عن الابصار فتبارك الله رب العالمين وأحسن الخالقين الذى اتقن ماصنع واحسن كل شىء خلقه ولانسبة لعالم الاجسام الى عالم الارواح بل هو أعظم واوسع وعجائبه ابهر وآياته اعجب وتأمل هذا الهيكل الانسانى اذا فارقته الروح كيف يصير بمنزلة الخشبة اوالقطعة من اللحم فأين ذهبت تلك العلوم والمعارف والعقل وتلك الصنائع الغريبة وتلك الافعال العجيبة وتلك الافكار والتدبيرات كيف ذهبت كلها مع الروح وبقى الهيكل سواء هووالتراب وهل يخاطبك من الانسان او يراك اويحبك اويواليك اويعاديك ويخف عليك ويثقل ويؤنسك ويوحشك الاذلك الامر الذى وراء الهيكل المشاهد بالبصر فرب رجل عظيم الهيولا كبير الجثة خفيف على قلبك حلو عندك وآخر لطيف الخلقة صغير الجثه أثقل على قلبك من جبل وماذاك الا لطافة روح ذاك وخفتها وحلاوتها وكثافة هذا وغلظ روحه ومرارتها وبالجملة فالعلق والوصل التى بين الاشخاص والمنافرات والبعد انما هى

للأرواح اصلا والاشباح تبعا *

فصل

والعاين والحاسد يشتركان فى شيء ويفترقان فى شيء فيشتركان فى ان كل واحد منهما تتكيف نفسه وتتوجه نحو من يريد اداده فالعائن تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته. والحاسد يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضا . ويفترقان فى أن العائن قد يصيب من لا يحسده من جماد أو حيوان أو زرع أو مال وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه. وربما أصابت عينه نفسه فان رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق مع تكيف نفسه بتلك الكيفية تؤثر فى المعين . وقد قال غير واحد من المفسرين فى قوله تعالى (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم لما سمعوا الذكر) إنه الاصابة بالعين فأرادوا أن يصيبوا بها رسول الله ﷺ فنظر اليه قوم من العائنين وقالوا ما رأينا مثله ولا مثل حجته . وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينة فيعينها ثم يقول لخادمه خذ المكتل والدرهم وأتنا بشيء من لحمها فما تبرح حتى تقع فتنحر . وقال الكلبي كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل ثم يرفع جانب خبائه فتمر به الابل فيقول لم أر كاليوم إبلا ولا غنما أحسن من هذه فما تذهب إلا قليلا حتى يسقط منها طائفة فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين ويفعل به كفعله فى غيره فعصم الله رسوله وحفظه وأنزل عليه (وإن يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم) هذا قول طائفة . وقالت طائفة أخرى منهم ابن قتيبة ليس المراد أنهم يصيبونك بالعين كما يصيب العائن بعينه مايعجبه وإنما أراد انهم ينظرون اليك اذا قرأت القرآن نظراً شديدا بالعداوة والبغضاء يكاد يسقطك قال الزجاج يعنى من شدة العداوة يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك . وهذا مستعمل فى الكلام

يقول القائل نظر إلى نظرا كاد يصرعنى . قال ويدل على صحة هـذا المعنى أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهة فيحدون اليه النظر بالبغضاء ﴿قلت﴾ النظر الذى يؤثر فى المنظور قد يكون سببه شدة العداوة والحسد فيؤثر نظره فيه كما تؤثر نفسه بالحسد ويقوى تأثير النفس عند المقابلة فان العدو اذا غاب عن عدوه قد يشغل نفسه عنـه فاذا عاينه قبلا اجتمعت الهمة عليـه وتوجهت النفس بكليتها اليه فيتأثر بنظره حتى إن من الناس من يسقط ومنهم من يحم ومنهم من يحمل إلى بيتـه وقد شاهد الناس من ذلك كثيرا . وقد يكون سببه الاعجاب وهو الذى يسمونه باصابة العين وهو أن الناظر يرى الشىء رؤية إعجاب به أو استعظام فتتكيف روحه بكيفية خاصة تؤثر فى المعين وهذا هو الذى يعرفه الناس من رؤية المعين فانهم يستحسنون الشىء ويعجبون منه فيصاب بذلك قال عبد الرزاق بن معمر عن هشام بن قتيبـة قال هذا ما حدثنا أبو هريرة قال « قال رسول الله ﷺ العين حق ونهى عن الوشم » وروى سفيان عن عمرو ابن دينار عن عروة عن عامر عن عبيد بن رفاعة « أن أسماء بنت عميس قالت يا رسول الله إن ابنى جعفر تصيبهم العين أفنسـترقي لهم قال نعم فلو كان شىء يسبق القضاء لسبقته العين » فالكفار كانوا ينظرون اليه نظر حاسد شديد العداوة فهو نظر يكاد يزلقه لولا حفظ الله وعصمته فهذا أشـد من نظر العائن بل هو جنس من نظر العائن فمن قال إنه من الاصابة بالعين أراد هذا المعنى ومن قال ليس به اراد أن نظرهم لم يكن نظر استحسان وإعجاب فالقرآن حق . وقد روى الترمذى من حديث أبى سعيد « أن النبى ﷺ كان يتعوذ من عين الانسان » فلولا أن العـين شر لم يتعوذ منها : وفى الترمذى من حديث على بن المبارك عن يحيى بن أبى كثير حدثنى حابس بن حبة التميمى حدثنى أبى « أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لاشي فى الهام والعين حق » وفيه أيضا من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس قال « كان رسول الله ﷺ يقول لو كان

شيء سابق القدر لسبقته العين وإذا استغسلتم فاغسلوا » وفى الباب عن عبد الله ابن عمرو وهذا حديث صحيح . والمقصود أن العائن حاسد خاص وهو أضر من الحاسد ولهذا والله أعلم إنما جاء فى السورة ذكر الحاسد دون العائن لأنه أعم فكل عائن حاسد ولا بد وليس كل حاسد عائنا فاذا استعاذ من شر الحسد دخل فيه العين وهذا من شمول القرآن وإعجازه وبلاغته وأصل الحسد هو بغض نعمة الله على المحسود وتمنى زوالها . فالحاسد عدو النعم وهذا الشر هو من نفسه وطبعها ليس هو شيئاً اكتسبه من غيرها بل هو من خبثها وشرها بخلاف السحر فانه إنما يكون باكتساب أمور أخرى واستعانة بالأرواح الشيطانية فلهذا والله أعلم قرن في السورة بين شر الحاسد وشر الساحر لأن الاستعاذة من شر هذين تعم كل شر يأتى من شياطين الانس والجن فالحسد من شياطين الانس والجن والسحر من النوعين . وبقى قسم ينفرد به شياطين الجن وهو الوسوسة فى القلب فذكره فى السورة الأخرى كما سيأتى الكلام عليها إن شاء الله فالحاسد والساحر يؤذيان المحسود والمسحور بلا عمل منه بل هو أذى من أمر خارج عنه ففرق بينهما فى الذكر فى سورة الفلق . والوسواس إنما يؤذى العبد من داخل بواسطة مساكنته له وقبوله منه ولهذا يعاقب العبد على الشر الذي يؤذيه به الشيطان من الوساوس التى تقترن بها الأفعال والعزم الجازم لأن ذلك بسعيه وإرادته بخلاف شر الحاسد والساحر فانه لا يعاقب عليه إذ لا يضاف إلي كسبه ولا إرادته فلهذا أفرد شر الشيطان فى سورة وقرن بين شر الساحر والحاسد فى سورة وكثيرا ما يجتمع فى القرآن الحسد والسحر لمناسبة ولهذا اليهود أسحر الناس وأحسدهم فانهم لشدة خبثهم فيهم من السحر والحسد ماليس فى غيرهم وقد وصفهم الله فى كتابه بهذا وهذا فقال (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا

انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد إلا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولاينفعهم ولقدعلموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئسما شروا به انفسهم لو كانوا يعلمون) والكلام علي أسرار هذه الآية واحكامها وما تضمنته من القواعد والرد علي من أنكر السحر وما تضمنته من الفرقان بين السحر وبين المعجزات الذى أنكره من أنكر السحر خشية الالتباس وقد تضمنت الآية أعظم الفرقان بينهما في (١) موضع غير هذا إذ المقصود الكلام على أسرارهاتين السورتين وشدة حاجة الخلق اليها وإنه لايقوم غيرها مقامها وأما وصفهم بالحسد فكثير في القرآن كقوله تعالى(أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله) وفى قوله (ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ماتبين لهم الحق)والشيطان يقارن الساحر والحاسدويحادثهما ويصاحبهما ولكن الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء منه للشيطان لان الحاسد شبيه بأبليس وهو فى الحقيقة من اتباعه لانه يطلب مايحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم كما أن إبليس حسد آدم لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له حسدا فالحاسد من جند أبليس وأما الساحر فهو يطلب من الشيطان ان يعينه ويستعينه وربما يعبده من دون الله حتى يقضى له حاجته وربما يسجد له . وفى كتب السحر والسر المكتوم من هذا عجائب ولهذا كلما كان الساحر أكفر وأخبث وأشد معاداة لله ولرسوله ولعباده المؤمنين كان سحره أقوى وأنفذ ولهذا سحر عباد الاصنام أقوى من سحر أهل الكتاب وسحر اليهود أقوى من سحر المنتسبين الى الاسلام وهم الذين سحروا رسول الله ﷺ . وفى الموطأ عن كعب قال « كلمات أحفظهن من التوراة لولاها لجعلتنى يهود حمارا أعوذ بوجه الله العظيم الذى لا شيء أعظم منه وبكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر

(١) الجار والمجرور خبر قوله والكلام على أسرار هذه الآية اه .

وبأسماء الله الحسنى ما علمت منها وما لم أعلم من شر ماخلق وذرأ وبرأ »
والمقصود أن الساحر والحاسد كل منهما قصده الشر لكن الحاسد بطبعه ونفسه وبغضه للمحسود والشيطان يقترن به ويعينه ويزين له حسده ويأمره بموجبه والساحر بعلمه وكسبه وشركه واستعانته بالشياطين *

فصل

وقوله (ومن شر حاسد إذا حسد) يعم الحاسد من الجن والانس فان الشيطان وحزبه يحسدون المؤمنين على ما آتاهم الله من فضله كما حسد إبليس أبانا آدم وهو عدو لذريته كما قال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) ولكن الوسواس أخص بشياطين الجن والحسد أخص بشياطين الانس والوسواس يعمهما كما سيأتي بيانهما والحسد يعمهما أيضاً فكلا الشيطانين حاسد موسوس فالاستعاذة من شر الحاسد تتناولهما جميعاً فقد اشتملت السورة على الاستعاذة من كل شر في العالم * وتضمنت شروراً أربعة يستعاذ منها . شرا عاما وهو شر ماخلق . وشر الغاسق إذا وقب . فهذان نوعان . ثم ذكر شر الساحر والحاسد وهي نوعان أيضاً لأنهما من شر النفس الشريرة وأحدهما يستعين بالشيطان ويعبده وهو الساحر وقلما يتأتى السحر بدون نوع عبادة للشيطان وتقرب اليه إما بذبح باسمه أو بذبح يقصد به هو فيكون ذبحاً لغير الله وبغير ذلك من أنواع الشرك والفسوق . والساحر وإن لم يسم هذا عبادة للشيطان فهو عبادة له وإن سماه بما سماه به فان الشرك والكفر هو شرك وكفر لحقيقته ومعناه لا لاسمه ولفظه فمن سجد لمخلوق وقال ليس هذا بسجود له هذا خضوع وتقبيل الأرض بالجبهة كما أقبلها بالنعم أو هذا إكرام لم يخرج بهذه الألفاظ عن كونه سجوداً لغير الله فليسمه بما شاء . وكذلك من ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب

اليه بما يحب فقد عبده وإن لم يسم ذلك عبادة بل يسميه استخداما ما وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه وبذلك يخدمه الشيطان لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فان الشيطان لا يخضع له ويعبده كما يفعل هو به . والمقصود أن هذا عبادة منه للشيطان وإنما سماه استخداماً . قال تعالى (ألم أعهد اليكم يابنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين) وقال تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون * قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون) فهؤلاء وأشباههم عباد الجن والشياطين وهم أولياؤهم فى الدنيا والآخرة ولبئس المولى ولبئس العشير فهذا أحد النوعين . والنوع الثانى من يعينه الشيطان وان لم يستعن به وهو الحاسد لانه نائبه وخليفته لان كليهما عدو نعم الله ومنغصها على عباده *

فصل

وتأمل تقييده سبحانه شر الحاسد بقوله «اذا حسد» لان الرجل قد يكون عنده حسد ولكن يخفيه ولا يرتب عليه أذي بوجه ما لا بقلبه ولا بلسانه ولا بيده بل يجد فى قلبه شيئاً من ذلك ولا يعاجل اخاه الا بما يحب الله فهذا لا يكاد يخلو منه احد الا من عصمه الله وقيل للحسن البصرى ايحسد المؤمن قال ما أنساك اخوة يوسف لكن الفرق بين القوة التى فى قلبه من ذلك وهو لا يطيعها ولا يأتمر لها بل يعصيها طاعة لله وخوفا وحياء منه واجلالا له ان يكره نعمه على عباده فيرى ذلك مخالفة لله وبغضا لما يحب الله ومحبة لما يبغضه فهو يجاهد نفسه على دفع ذلك ويلزمها بالدعاء للمحسود وتمنى زيادة الخير له بخلاف ما اذا حقق ذلك وحسد ورتب على حسده مقتضاه من الأذى بالقلب واللسان والجوارح فهذا الحسد

المذموم هـذا كله حسد تمنى الزوال. وللحسد ثلاث مراتب احدها هذه . الثانية تمنى استصحاب عدم النعمة فهو يكره ان يحدث الله لعبده نعمة بل يحب ان يبقى على حاله من جهله اوفقره اوضعفه او شتات قلبه عن الله اوقلة دينه فهو يتمنى دوام ما هو فيه من نقص وعيب فهـذا حسد على شيء مقدر والاول حسد على شيء محقق و كلاهما حاسد عدو نعمة الله وعدو عباده ومقوت عند الله تعالى وعنـد الناس ولايسود أبدا ولا يواسى فان الناس لا يسودون عليهم الا من يريد الاحسان اليهم فاما عدو نعمة الله عليهم فلا يسودونه باختيارهم ابدا الا قهراً يعدونه من البلاء والمصائب التى ابتلاهم الله بها فهم يبغضونه وهو يبغضهم. والحسد الثالث حسد الغبطة وهو تمنى ان يكون له مثـل حال المحسود من غير ان تزول النعمة عنه فهذا لا بأس به ولا يعاب صاحبه بل هذا قريب من المنافسة وقد قال تعـالي (وفى ذلك فليتنافس المتنافسون) وفى الصحيح عن النبى ﷺ انه قال لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته فى الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها الناس فهذا حسد غبطة الحامل لصاحبه عليه كبر نفسه وحب خصال الخير والتشبه باهلها والدخول فى جملتهم وان يكون من سباقهم وعليتهم ومصلهم لامن فساكلهم فتحدث له من هـذه الهمة المنافسة والمسابقة والمسارعة مع محبته لمن يغبطه وتمنى دوام نعمة الله عليه فهذا لا يدخل فى الآية بوجه ما فهذه السورة من أكبر أدوية المحسود فانها تتضمن التوكل على الله والالتجاء اليـه والاستعاذة به من شر حاسد النعمة فهو مستعيذ بولى النعم ومولیها كأنه يقول يامن أولانى نعمته واسداها الىّ انا عائذ بك من شر من يريد ان يستلبها منى ويزيلها عنى وهو حسب من توكل عليـه وكافى من لجأ اليه وهو الذى يؤمن خوف الخائف ويجير المستجير وهو نعم المولي ونعم النصير فمن تولاه واستنصر به وتوكل عليه وانقطع بكليته اليـه تولاه وحفظه وحرسه وصانه ومن خافه واتقاه أمنه مما يخاف ويحذر وجلب اليه كل مايحتاج اليه من المنافع ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه

من حيث لايحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه فلا تستبطىء نصره ورزقه وعافيته فان الله بالغ أمره وقد جعل الله لكل شيء قدرا لايتقدم عنه ولا يتأخر ومن لم يخفه أخافه من كل شيء وماخاف أحد غير الله الا لنقص خوفه من الله قال تعالى (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقال (انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين) أى يخوفكم بأوليائه ويعظمهم فى صدوركم فلا تخافوهم وأفردونى بالمخافة اكمكم اياهم *

فصل

ويندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب أحدها التعوذ بالله من شره والتحصن به واللجأ اليه وهو المقصود بهذه السورة والله تعالى سميع لاستعاذته عليم بما يستعيذ منه والسمع هنا المراد به سمع الاجابة لا السمع العام فهو مثل قوله سمع الله لمن حمده .وقول الخليل عليه السلام «ان ربى لسميع الدعاء» ومرة يقرنه بالعلم ومرة بالبصر لاقتضاء حال المستعيذ ذلك فانه يستعيذ به من عدو يعلم ان الله يراه ويعلم كيده وشره فاخبر الله تعالى هذا المستعيذ انه سميع لاستعاذته أى مجيب عليم بكيد عدوه يراه ويبصره لينبسط أمل المستعيذ ويقبل بقلبه على الدعاء وتأمل حكمة القرآن كيف جاء فى الاستعاذة من الشيطان الذى نعلم وجوده ولا نراه بلفظ السميع العليم فى الأعراف وحم السجدة وجاءت الاستعاذة من شر الانس الذين يؤنسون ويرون بالابصار بلفظ السميع البصير فى سورة حم المؤمن فقال (ان الذين يجادلون فى آيات الله بغير سلطان اتاهم إن فى صدورهم الا كبر ماهم ببالغيه

فاستعذ بالله انه هو السميع البصير) لان افعال هؤلاء أفعال معاينة ترى بالبصر وأما نزغ الشيطان فوساوس وخطرات يلقيها فى القلب يتعلق بها العلم فامر بالاستعاذة بالسميع العليم فيها وأمر بالاستعاذة بالسميع البصير فى باب مايرى بالبصر ويدرك بالرؤية والله أعلم ﴿ السبب الثانى ﴾ تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه فمن اتقى الله تولى الله حفظه ولم يكله الى غيره قال تعالى (وان تصبروا وتتقوا لايضركم كيدهم شيئاً) وقال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس « احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك » فمن حفظ الله حفظه الله ووجده أمامه أينما توجه ومن كان الله حافظه وأمامه فمن يخاف ولمن يحذر ﴿ السبب الثالث ﴾ الصبر على عدوه وان لايقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه باذاه أصلا فما انصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه والتوكل على الله ولا يستطل تأخيره وبغيه فانه كلما بغى عليه كان بغيه جندا وقوة للمبغى عليه المحسود يقاتل به الباغى نفسه وهو لا يشعر فبغيه سهام يرميها من نفسه الى نفسه ولو رأى المبغى عليه ذلك لسره بغيه عليه ولكن لضعف بصيرته لايرى الا صورة البغى دون آخره وما آله وقد قال تعالى (ومن عاقب بمثل ماعوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله) فاذا كان الله تضمن له النصر مع انه قد أستوفى حقه أولا فكيف بمن لم يستوف شيئاً من حقه بل بغى عليه وهو صابر وما من الذنوب ذنب أسرع عقوبة من البغى وقطيعة الرحم وقد سبقت سنة الله انه لو بغى جبل على جبل جعل الباغى منهما دكا ﴿ السبب الرابع ﴾ التوكل على الله فمن يتوكل على الله فهو حسبه والتوكل من أقوى الاسباب التى يدفع بها العبد مالا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم وهو من أقوى الاسباب فى ذلك فان الله حسبه أى كافيه ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه ولا يضره الا أذى لابد منه كالحر والبرد والجوع والعطش وأما أن يضره بما يبلغ منه مراده فلا يكون أبدا وفرق بين الاذى الذى هو فى الظاهر ايذاء له وهو فى الحقيقة احسان اليه واضرار بنفسه وبين الضرر الذي يتشفى به منه قال

بعض السلف جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) ولم يقل نؤته كذا وكذا من الأجر كما قال فى الاعمال بل جعل نفسه سبحانه كافى عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والارض ومن فيهن لجعل له مخرجا من ذلك وكفاه ونصره وقد ذكرنا حقيقة التوكل وفوائده وعظم منفعته وشدة حاجة العبد اليه فى ﴿ كتاب الفتح القدسى ﴾ وذكرنا هناك فساد من جعله من المقامات المعلولة وانه من مقامات العوام وأبطلنا قوله من وجوه كثيرة وبينا انه من أجل مقامات العارفين وانه كلما علا مقام العبد كانت حاجته الى التوكل أعظم وأشد وانه على قدر إيمان العبد يكون توكله وإنما المقصود هنا ذكر الأسباب التى يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر والباغى ﴿ السبب الخامس ﴾ فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه وان يقصد أن يمحوه من باله كلما خطر له فلا يلتفت اليه ولا يخافه ولا يملأ قلبه بالفكر فيه وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الاسباب المعينة على اندفاع شره فان هذا بمنزلة من يطلبه عدوه ليمسكه ويؤذيه فاذا لم يتعرض له ولا تماسك هو وإياه بل انعزل عنه لم يقدر عليه فاذا تماسكا وتعلق كل منهما بصاحبه حصل الشر وهكذا الارواح سواء فاذا علق روحه وشبثها به وروح الحاسد الباغى متعلقة به يقظة ومناما لا يفترعنه وهو يتمنى أن يتماسك الروحان ويتشبثا فاذا تعلقت كل روح منهما بالاخرى عدم القرار ودام الشر حتى يهلك أحدهما فاذا جبذ روحه عنه وصانها عن الفكر فيه والتعلق به وان لايخطره بباله فاذا خطر بباله بادر إلى محو ذلك الخاطر والاشتغال بما هو أنفع له وأولى به بقى الحاسد الباغى يأكل بعضه بعضاً فان الحسد كالنار فاذا لم تجد ماتأكله أكل بعضها بعضا وهذا باب عظيم النفع لايلقاه الا أصحاب النفوس الشريفة والهمم العلية وبين الكيس الفطن وبينه حتى يذوق حلاوته وطيبه ونعيمه كأنه يرى من أعظم عذاب القلب والروح اشتغاله بعدوه وتعلق

روحه به ولا يرى شيئاً ألم لروحه من ذلك ولا يصدق بهذا الا النفوس المطمئنة الوادعة اللينة التى رضيت بوكالة الله لها وعلمت ان نصره لها خير من انتصارها هى لنفسها فوثقت بالله وسكنت اليه واطمأنت به وعلمت ان ضمانه حق ووعده صدق وانه لا أوفى بعهده من الله ولا أصدق منه قيلا فعلمت ان نصره لها أقوى وأثبت وأدوم وأعظم فائدة من نصرها هى لنفسها أو نصر مخلوق مثلها لها ولا يقوى على هذا الا بالسبب السادس وهو الاقبال على الله والاخلاص له وجعل محبته وترضيه والانابة اليه فى محل خواطر نفسه وأمانيها تدب فيها دبيب تلك الخواطر شيئاً فشيئاً حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها فى محاب الرب والتقرب اليه وتملقه وترضيه واستعطافه وذكره كما يذكر المحب التام المحبة لمحبوبه المحسن اليه الذى قد امتلات جوانحه من حبه فلا يستطيع قلبه انصرافا عن ذكره ولا روحه انصرافا عن محبته فاذا صار كذلك فكيف يرضى لنفسه أن يجعل بيت إنكاره وقلبه معمورا بالفكر فى حاسده والباغى عليه والطريق إلى الانتقام منه والتدبير عليه هذا مالا يتسع له إلا قلب خراب لم تسكن فيه محبة الله وإجلاله وطلب مرضاته بل إذا مسه طيف من ذلك واجتاز ببابه من خارج ناداه حرس قلبه إياك وحمى الملك إذهب الي بيوت الخانات التى كل من جاء حل فيها ونزل بها مالك ولبيت السلطان الذى أقام عليه العزك وأدار عليه الحرس وأحاطه بالسور . قال تعالى حكاية عن عدوه إبليس أنه قال (فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) قال تعالى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) وقال (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) وقال فى حق الصديق يوسف عليه السلام (كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين) فما أعظم سعادة من دخل هذا الحصن وصار داخل العزك لقد آوى إلى حصن لا خوف على من تحصن به ولا ضيعة على من آوى اليه ولا مطمع للعدو

فى الدنو اليه منه (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم)
﴿ السبب السابع ﴾ تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التى سلطت عليه أعداءه فان الله تعالى يقول (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم) وقال لخير الخلق وهم أصحاب نبيه دونه ﷺ (أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم) فما سلط على العبد من يؤذيه الا بذنب يعلمه أو لا يعلمه ومالا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف مايعلمه منها وما ينساه مما علمه وعمله أضعاف مايذكره . وفى الدعاء المشهور « اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك وأنا أعلم وأستغفرك لما لا أعلم) فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه ممالا يعلمه أضعاف أضعاف مايعلمه فما سلط عليه مؤذ إلا بذنب . ولقى بعض السلف رجل فأغلظ له ونال منه فقال له قف حتى أدخل البيت ثم أخرج اليك فدخل فسجد لله وتضرع اليه وتاب وأناب إلى ربه ثم خرج اليه فقال له ما صنعت فقال تبت الى الله من الذنب الذى سلطك به على . وسنذكر إن شاء الله تعالى أنه ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها فاذا عوفى من الذنوب عوفى من موجباتها فليس للعبد إذا بغى عليه وأوذي وتسلط عليه خصومه شيء أنفع له من التوبة النصوح وعلامة سعادته أن يعكس فكره ونظره على نفسه وذنوبه وعيوبه فيشتغل بها وباصلاحها وبالتوبة منها فلا يبقى فيه فراغ لتدبر ما نزل به بل يتولى هوالتوبة وإصلاح عيوبه والله يتولى نصرته وحفظه والدفع عنه ولا بد فما أسعده من عبد وما أبركها من نازلة نزلت به وما أحسن أثرها عليه ولكن التوفيق والرشد بيد الله لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع فما كل أحد يوفق لهذا لامعرفة به ولا إرادة له ولاقدرة عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله ﴿السبب الثامن﴾ الصدقة والاحسان ما أمكنه فان لذلك تأثيرا عجيبا فى دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد ولو لم يكن فى هذا إلا تجارب الأمم قديما وحديثا لكفى به فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من

ذلك كان معاملا فيه باللطف والمعونة والتأييد وكانت له فيه العاقبة الحميدة . فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته عليه من الله جنة واقية وحصن حصين وبالجملة فالشكر حارس النعمة من كل مايكون سببا لزوالها . ومن أقوى الأسباب حسد الحاسد والعائن فانه لا يفتر ولا ينى ولا يبرد قلبه حتى تزول النعمة عن المحسود فحينئذ يبرد أنينه وتنطفئ ناره لا أطفأها الله فما حرس العبد نعمة الله عليه بمثل شكرها ولا عرضها للزوال بمثل العمل فيها بمعاصى الله وهو كفران النعمة وهو باب الى كفران المنعم . فالمحسن المتصدق يستخدم جندا وعسكرا يقاتلون عنه وهو نائم على فراشه فمن لم يكن له جند ولا عسكر وله عدو فانه يوشك أن يظفر به عدوه وإن تأخرت مدة الظفر والله المستعان ﴿ السبب التاسع ﴾ وهو من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها ولا يوفق له إلا من عظم حظه من الله وهو طفى نار الحاسد والباغى والمؤذى بالاحسان اليه فكلما ازداد أذى وشرا وبغيا وحسدا ازددت اليه إحسانا وله نصيحة وعليه شفقة وما أظنك تصدق بأن هذا يكون فضلا عن أن تتعاطاه فاسمع الآن قوله عز وجل (ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم * وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) وقال (أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون) وتأمل حال النبي ﷺ الذى حكى عنه نبينا ﷺ (١) أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسلت الدم عنه ويقول « اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون » كيف جمع فى هذه الكلمات أربع مقامات من الاحسان قابل بها إساءتهم العظيمة اليه . أحدها عفوه عنهم . والثانى استغفاره لهم . الثالث اعتذاره

(١) هذه الجملة ليست في بعض الأصول ولعل حذفها هو الصواب فأن المعروف أن نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى ضربه قومه الى آخره اه

عنهم بأنهم لا يعلمون . الرابع استعطافه لهم باضافتهم اليه فقال « اغفر لقومى » كما يقول الرجل لمن يشفع عنده فيمن يتصل به هذا ولدى هذا غلامى هذا صاحبي فهبه لى واسمع الآن ما الذى يسهل هذا على النفس ويطيبه اليها وينعمها به . اعلم ان لك ذنوبا بينك وبين الله تخاف عواقبها وترجوه ان يعفو عنها ويغفرها لك ويهبها لك . ومع هذا لا يقتصر على مجرد العفو والمسامحة حتي ينعم عليك ويكرمك ويجلب اليك من المنافع والاحسان فوق ماتؤمله فاذا كنت ترجو هذا من ربك ان يقابل به اساءتك فما أولاك واجدرك ان تعامل به خلقه وتقابل به اساءتهم ليعاملك الله هذه المعاملة فان الجزاء من جنس العمل فكما تعمل مع الناس فى اساءتهم فى حقك يفعل الله معك فى ذنوبك واساءتك جزاء وفاقا فانتقم بعد ذلك أواعف واحسن أواترك فكما تدين تدان وكما تفعل مع عباده يفعل معك فمن تصور هذا المعنى وشغل به فكره هان عليه الاحسان الى من اساء اليه هذا مع مايحصل له بذلك من نصر الله ومعيته الخاصة كما قال النبى ﷺ للذى شكي اليه قرابته وانه يحسن اليهم وهم يسيؤن اليه فقال « لا يزال معك من الله ظهير مادمت على ذلك » هذا مع مايتعجله من ثناء الناس عليه ويصيرون كلهم معه على خصمه فانه كل من سمع انه محسن الى ذلك الغير وهو مسيء اليه وجد قلبه ودعاءه وهمته مع المحسن على المسيء وذلك امر فطرى فطر الله عليه عباده فهو بهذا الاحسان قد استخدم عسكرا لا يعرفهم ولا يعرفونه ولا يريدون منه إقطاعا ولا خبزا هذا مع انه لابد له مع عدوه وحاسده من إحدى حالتين اما ان يملكه باحسانه فيستعبده وينقاد له ويذل له ويبقى من أحب الناس اليه واما أن يفتت كبده ويقطع دابره ان أقام على اساءته اليه فانه يذيقه باحسانه اضعاف ماينال منه بانتقامه ومن جرب هذا عرفه حق المعرفة والله هو الموفق المعين بيده الخير كله لا اله غيره وهو المسؤال ان يستعملنا واخواننا فى ذلك بمنه وكرمه وفى الجملة ففى هذا المقام من الفوائد ما يزيد على مائة منفعة للعبد عاجلة وآجلة سنذكرها فى

موضع آخر ان شاء الله تعالى ﴿السبب العاشر﴾ وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الاسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر فى الاسباب الى المسبب العزيز الحكيم والعلم بان هذه آلات بمنزلة حركات الرياح وهى بيد محركها وفاطرها وبارئها ولا تضر ولا تنفع الا باذنه فهو الذى يحسن عبده بها وهو الذى يصرفها عنه وحده لا احد سواه قال تعالى (وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله) وقال النبى ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك لم ينفعوك الا بشيء كتبه الله لك ولو اجتمعوا على ان يضروك لم يضروك الا بشيء كتبه الله عليك فاذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ماسواه وكان عدوه أهون عليه من ان يخافه مع الله بل يفرد الله بالمخافة وقد أمنه منه وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه وتجرد لله محبة وخشية وانابة وتوكلا واشتغالا به عن غيره فيرى ان أعماله فكره فى أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده والا فلو جرد توحيده لكان له فيه شغل شاغل والله يتولى حفظه والدفع عنه فان الله يدافع عن الذين آمنوا فان كان مؤمنا فالله يدافع عنه ولا بد وبحسب ايمانه يكون دفاع الله عنه فان كمل ايمانه كان دفع الله عنه اتم دفع وان مزج مزج له وان كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة كما قال بعض السلف من أقبل على الله بكليته اقبل الله عليه جملة ومن أعرض عن الله بكليته اعرض الله عنه جملة ومن كان مرة ومرة فالله له مرة ومرة. فالتوحيد حصن الله الاعظم الذى من دخله كان من الآمنين قال بعض السلف من خاف الله خافه كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء فهذه عشرة اسباب يندفع بها شر الحاسد والعائن والساحر وليس له انفع من التوجه الى الله واقباله عليه وتوكله عليه وثقته به وان لا يخاف معه غيره بل يكون خوفه منه وحده ولا يرجو سواه بل يرجوه وحده فلا يعلق قلبه بغيره ولا يستغيث بسواه ولا يرجو الا اياه ومتى علق قلبه بغيره ورجاه وخافه وكل اليه وخذل من

جهته فمن خاف شيئاً غير الله سلط عليه ومن رجا شيئاً سوى الله خذل من جهته وحرم خيره هذه سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا *

فصل

فقد عرفت بعض ما اشتملت عليه هذه السورة من القواعد النافعة المهمة التى لاغنى للعبد عنها فى دينه ودنياه ودلت على ان نفوس الحاسدين واعينهم لها تأثير وعلى ان الارواح الشيطانية لها تأثير بواسطة السحر والنفث فى العقد وقد افترق العالم فى هـذا المقام اربع فرق ففرقه انكرت تأثير هذا وهذا وهم فرقتان فرقة اعترفت بوجود النفوس الناطقة والجن وأنكرت تأثيرهما البتة وهذا قول طائفة من المتكلمين ممن انكر الاسباب والقوى والتأثيرات وفرقة انكرت وجودهما بالكلية وقالت لاوجود لنفس الآدمى سوى هذا الهيكل المحسوس وصفاته واعراضه فقط ولا وجود للجن والشياطين سوى اعراض قائمة به وهذا قول كثير من ملاحدة الطبائعيين وغيرهم من الملاحدة المنتسبين الى الاسلام وهو قول شذوذ من أهل الـكلام الذين ذمهم السلف وشهدوا عليهم بالبدعة والضلالة . الفرقة الثانية أنـكرت وجود النفس الانسانية المفارقة للبدن وأقرت بوجود الجن والشياطين وهذا قول كثير من المتكلمين من المعتزلة وغيرهم . الفرقة الثالثة بالعكس أقرت بوجود النفس الناطقة المفارقة للبدن وأنـكرت وجود الجن والشياطين وزعمت أنها غير خارجة عن قوى النفس وصفاتها وهذا قول كثير من الفلاسفة الاسلاميين وغيرهم وهؤلاء يقولون انما يوجد فى العالم من التأثيرات الغريبة والحوادث الخارقة فهى من تأثيرات النفس ويجعلون السحر والـكهانة كله من تأثير النفس وحدها بغير واسطة شيطان منفصل وابن سينا واتباعه على هذا القول حتى انهم يجعلون معجزات الرسل من هذا الباب ويقولون انما هى من تأثيرات النفس فى هيولى

العالم وهؤلاء كفار باجماع أهل الملل ليسوا من أتباع الرسل جملة (الفرقة الرابعة) وهم اتباع الرسل وأهل الحق أقروا بوجود النفس الناطقه المفارقة للبدن وأقروا بوجود الجن والشياطين وأثبتوا ما أثبته الله تعالى من صفاتهما وشرهما واستعاذوا بالله منه وعلموا انه لا يعيذهم منه ولا يجيرهم الا الله فهؤلاء أهل الحق ومن عداهم مفرط فى الباطل أو معه باطل وحق والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . فهذا ما يسر الله من الكلام على سورة الفلق *

﴿وأما سورة الناس﴾ فقد تضمنت أيضاً استعاذة ومستعاذاً به ومستعاذا منه فالاستعاذة تقدمت . وأما المستعاذ به فهو الله (رب الناس ملك الناس إله الناس) فذكر ربوبيته للناس وملكه إياهم وإلاهيته لهم ولا بد من مناسبة فى ذكر ذلك فى الاستعاذة من الشيطان كما تقدم فنذكر أولا معنى هذه الاضافات الثلاث ثم وجه مناسبتها لهذه الاستعاذة ﴿الاضافة الاولى﴾ إضافة الربوبية المتضمنة لخلقهم وتدبيرهم وتربيتهم وإصلاحهم وجلب مصالحهم وما يحتاجون اليه ودفع الشر عنهم وحفظهم مما يفسدهم هذا معنى ربوبيته لهم وذلك يتضمن قدرته التامة ورحمته الواسعة وإحسانه وعلمه بتفاصيل أحوالهم وإجابة دعواتهم وكشف كرباتهم ﴿الاضافة الثانية﴾ إضافة الملك فهو ملكهم المتصرف فيهم وهم عبيده ومماليكه وهو المتصرف لهم المدبر لهم كما يشاء النافذ القدرة فيهم الذى له السلطان التام عليهم فهو ملكهم الحق الذى اليه مفزعهم عند الشدائد والنوائب وهو مستغاثهم ومعاذهم وملجأهم فلا صلاح لهم ولا قيام الا به وبتدبيره فليس لهم ملك غيره يهربون اليه إذا دهمهم العدو ويستصرخون به اذا نزل العدو بساحتهم* ﴿الاضافة الثالثة﴾ إضافة الالهية فهو إلههم الحق ومعبودهم الذى لا إله لهم سواه ولا معبود لهم غيره . فكما أنه وحده هو ربهم ومليكهم لم يشركه فى ربوبيته ولا فى ملكه أحد فكذلك هو وحده إلههم ومعبودهم فلا ينبغى أن يجعلوا معه شريكا فى إلهيته كما لا شريك معه فى ربوبيته وملكه وهذه طريقة

القرآن يحتج عليهم باقرارهم بهذا التوحيد على ما أنكروه من توحيد الالهية والعبادة واذا كان وحده هو ربنا وملكنا وإلهنا فلا مفزع لنا فى الشدائد سواه ولا ملجأ لنا منه إلا اليه ولا معبود لنا غيره فلا ينبغى أن يدعى ولا يخاف ولا يرجى ولا يحب سواه ولا يذل لغيره ولا يخضع لسواه ولا يتوكل الا عليه لأن من ترجوه وتخافه وتدعوه وتتوكل عليه إما أن يكون مربيك والقيم بأمورك ومتولي شأنك وهو ربك فلا رب سواه أو تكون مملوكه وعبده الحق فهو ملك الناس حقا وكلهم عبيده ومماليكه أو يكون معبودك وإلهك الذى لا تستغنى عنه طرفة عين بل حاجتك اليه أعظم من حاجتك الى حياتك وروحك وهو الاله الحق إله الناس الذى لا إله لهم سواه فمن كان ربهم وملكهم وإلههم فهم جديرون أن لا يستعيذوا بغيره ولا يستنصروا بسواه ولا يلجؤا الى غير حماه فهو كافيهم وحسبهم وناصرهم ووليهم ومتولى أمورهم جميعا بربوبيته وملكه وإلاهيته لهم فكيف لا يلتجىء العبد عند النوازل ونزول عدوه به الى ربه ومالكه وإلهه فظهرت مناسبة هذه الاضافات الثلاث للاستعاذة من أعدى الأعداء وأعظمهم عداوة وأشدهم ضررا وأبلغهم كيدا . ثم إنه سبحانه كرر الاسم الظاهر ولم يوقع المضمر موقعه فيقول رب الناس وملكهم وإلههم تحقيقا لهذا المعنى وتقوية له فأعاد ذكرهم عند كل إسم من أسمائه ولم يعطف بالواو لما فيها من الايذان بالمغايرة . والمقصود الاستعاذة بمجموع هذه الصفات حتى كأنها صفة واحدة وقدم الربوبية لعمومها وشمولها لكل مربوب وأخر الالهية لخصوصها لانه سبحانه انما هو إله من عبده ووحده واتخذه دون غيره إلها فمن لم يعبده ويوحده فليس بالهه وإن كان فى الحقيقة لا إله له سواه ولكن ترك إلهه الحق واتخذ إلها غيره ووسط صفة الملك بين الربوبية والألهية لان الملك هو المتصرف بقوله وأمره فهو المطاع اذا أمر وملكه لهم تابع لخلقه اياهم فملكه من كمال ربوبيته وكونه الههم الحق من كمال ملكه فربوبيته تستلزم ملكه وتقتضيه وملكه يستلزم الهيته ويقتضيها

فهو الرب الحق الملك الحق الاله الحق خلقهم بربوبيته وقهرهم بملكه واستعبدهم بالاهيته فتأمل هـذه الجلالة وهذه العظمة التى تضمنتها هذه الألفاظ الثلاثة على ابدع نظام وأحسن سياق رب الناس ملك الناس إله الناس وقد اشتملت هـذه الاضافات الثلاث على جميع قواعد الايمان وتضمنت معاني اسمائه الحسنى اما تضمنها لمعاني اسمائه الحسنى فان الرب هو القادر الخالق البارىء المصور الحى القيوم العليم السميع البصير المحسن المنعم الجواد المعطى المانع الضار النافع المقدم المؤخر الذى يضل من يشاء ويهدى من يشاء ويسعد من يشاء ويشقى ويعز من يشاء ويذل من يشاء الى غير ذلك من معانى ربوبيته التى له منها مايستحقه من الاسماء الحسنى واما الملك فهو الآمر الناهي المعز المذل الذى يصرف امور عباده كما يحب ويقلبهم كما يشاء وله من معنى الملك مايستحقه من الاسماء الحسنى كالعزيز الجبار المتكبر الحكم العدل الخافض الرافع المعز المذل العظيم الجليل الكبير الحسيب المجيد الوالى المتعالى مالك الملك المقسط الجامع الى غير ذلك من الاسماء العائدة الى الملك وأما الاله فهو الجامع لجميع صفات الكمال ونعوت الجلال فيدخل فى هذا الاسم جميع الاسماء الحسنى ولهذا كان القول الصحيح ان الله اصله الاله كما هو قول سيبويه وجمهور اصحابه الا من شذ منهم وان اسم الله تعالى هو الجامع لجميع معانى الاسماء الحسنى والصفات العلى فقد تضمنت هذه الاسماء الثلاثة جميع معانى اسمائه الحسنى فكان المستعيذ بها جديرا بان يعاذ ويحفظ ويمنع من الوسواس الخناس ولا يسلط عليه. واسرار كلام الله أجل واعظم من أن تدركها عقول البشر وانما غاية أولى العلم الاستدلال بما ظهر منها على ماوراءه وان باديه(١) الى الخافى يسير *

(١) باديه أى الذى يظهر منه بالنسبة ألى الخافي يسير اه

فصل

وهذه السورة مشتملة على الاستعاذة من الشر الذى هو سبب الذنوب والمعاصى كلها وهو الشر الداخل فى الانسان الذى هو منشأ العقوبات فى الدنيا والآخرة فسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذى هو ظلم الغير له بالسحر والحسد وهو شر من خارج وسورة الناس تضمنت الاستعاذة من الشر الذى هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من داخل. فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبه والشر الثانى فى سورة الناس يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهى فهذا شر المعائب والأول شر المصائب والشر كله يرجع الى العيوب والمصائب ولا ثالث لهما فسورة الفلق تتضمن الاستعاذة من شر المصيبات وسورة الناس تتضمن الاستعاذة من شر العيوب التى أصلها كلها الوسوسة *

فصل

اذا عرف هذا فالوسواس فعلال من وسوس وأصل الوسوسة الحركة أو الصوت الخفى الذى لا يحس فيحترز منه فالوسواس الالقاء الخفى فى النفس اما بصوت خفى لا يسمعه ألا من ألقى اليه واما بغير صوت كما يوسوس الشيطان الى العبد ومن هذا وسوسة الحلى وهو حركته الخفية فى الاذن والظاهر والله أعلم انها سميت وسوسة لقربها وشدة مجاورتها لمحل الوسوسة من شياطين الانس وهو الاذن فقيل وسوسة الحلى لأنه صوت مجاور للاذن كوسوسة الكلام الذى يلقيه الشيطان فى اذن من يوسوس له ولما كانت الوسوسة كلاما يكرره الموسوس ويؤكده

عند من يلقيه اليه كرروا لفظها بازاء تكرير معناها فقالوا وسوس وسوسة فراعوا تكرير اللفظ ليفهم منه تكرير مسماه ونظير هذا ماتقدم من متابعتهم حركة اللفظ بازاء متابعة حركة معناه كالدوران والغليان والنزوان وبابه ونظير ذلك زلزل ودكدك وقلقل وكبكب الشيء لان الزلزلة حركة متكررة وكذلك الدكدكة والقلقلة وكذلك كبكب الشيء اذا كبه في مكان بعيد فهو يكب فيه كبا بعد كب كقوله تعالى(فكبكبوا فيها هم والغاوون)ومثله رضرضه اذا كرر رضه مرة بعد مرة ومثله ذرذره اذا ذره شيئاً بعد شيء ومثله صرصر الباب اذا تكرر صريره ومثله مطمط الكلام اذا مططه شيئاً بعد شيء ومثله كفكف الشيء اذا كرر كفه وهو كثير وقد علم بهذا أن من جعل هذا الرباعي بمعنى الثلاثي المضاعف لم يصب لأن الثلاثي لا يدل على تكرار بخلاف الرباعي المكرر فاذا قلت ذر الشيء وصر الباب وكف الثوب ورض الحب لم يدل على تكرار الفعل بخلاف ذرذر وصرصر ورضرض ونحوه فتأمله فانه مطابق للقاعدة العربية في الجذور بالألفاظ جذور المعاني وقد تقدم التنبيه على ذلك فلا وجه لاعادته وكذلك قولهم عج العجل اذا صوت فان تابع صوته قالوا عجعج وكذلك ثج الماء اذا صب فان تكرر ذلك قيل ثجثج والمقصود أن الموسوس لما كان يكرر وسوسته ويتابعها قيل وسوس *

فصل

اذا عرف هذا فاختلف النحاة في لفظ الوسواس هل هو وصف أو مصدر على قولين ونحن نذكر حجة كل قول ثم نبين الصحيح من القولين بعون الله وفضله فأما من ذهب الى أنه مصدر فاحتج بأن الفعل منه فعلل والوصف من فعلل إنما هو مفعلل كمدحرج ومسرهف ومبيطر ومسيطر وكذلك هو من فعل بوزن مفعل كمقطع ومخرج وبابه فلو كان الوسواس صفة لقيل موسوس ألا ترى أن

اسم الفاعل من زلزل مزلزل لا زلزال وكذلك من دكدك مدكوك وهو مطرد فدل على أن الوسواس مصدر وصف به على وجه المبالغة أو يكون على حذف مضاف تقديره ذو الوسواس قالوا والدليل عليه أيضاً قول الشاعر * تسمع للحلي بها وسواساً * فهذا مصدر بمعنى الوسوسة سواء ﴿قال أصحاب القول الآخر﴾ الدليل على أنه وصف ان فعلل ضربان أحدهما صحيح لا تكرار فيه كدحرج وسرهف وبيطر وقياس مصدر هذا الفعللة كالدحرجة والسرهفة والبيطرة والفعلان بكسر الفاء كالسرهاف والدحراج والوصف منه مفعلل كمدحرج ومبيطر. والثاني فعلل الثنائي المكرر كزلزل ودكدك ووسوس وهذا فرع على فعلل المجرد عن التكرار لأن الأصل السلامة من التكرار ومصدر هذا النوع والوصف منه مساو لمصدر الأول ووصفه فمصدره يأتي على الفعللة كالوسوسة والزلزلة والفعلال كالزلزال وأقيس المصدرين واولاهما بنوعي فعلل الفعلال لأمرين أحدهما أن فعلل مشاكل لافعل في عدد الحروف وفتح الأول والثالث والرابع وسكون الثاني فجعل أفعال مصدر أفعل وفعلال مصدر فعلل ليتشاكل المصدران كما يتشاكل الفعلان فكان الفعلال أولى بهذا الوزن من الفعللة الثاني ان أصل المصدر ان يخالف وزنه وزن فعله ومخالفة فعلال لفعل أشد من مخالفة فعللة له فكان فعلال أحق بالمصدرية من فعللة أو تساويا في الاطراد مع ان فعللة أرجح في الاستعمال وأكثر هذا هو الأصل وقد جاء بمصدر هذا الوزن المكرر مفتوح الفاء فقالوا وسوس الشيطان وسواسا ووعوع الكلب وعواعا اذا عوى وعظعظ السهم (١) عظعاظا والجاري على القياس فعلال بكسر الفاء أو فعللة وهذا المفتوح نادر لان الرباعي الصحيح أصل المتكرر ولم يأت مصدر الصحيح مع كونه اصلا الاعلى فعللة وفعلال بالكسر فلم يحسن بالرباعي المكرر لفرعيته ان يكون

(١) في القاموس عظعظ السهم عظعظة وعظعاظا بالكسر ارتعش في مضيه والتوى.

مصدره الا كذلك لان الفرع لايخالف أصله بل يحتذى فيه حذوه وهذا يقتضى أن لايكون مصدره على فعلال بالفتح فان شذ حفظ ولم يزد عليه قالوا وأيضاً فان فعلالا المفتوح الفاء قد كثر وقوعه صفة مصوغة من فعلل المكرر ليكون فيه نظير فعال من الثلاثى لأنهما متشاركان وزنا فاقتضى ذلك ان لايكون لفعلال من المصدرية نصيب كما لم يكن لفعال فيها نصيب فلذلك استندروا وقوع وسواس ووعواع وعظعاظ مصادر وانما حقها ان تكون صفات دالة على المبالغة فى مصادر هذه الافعال قالوا واذا ثبت هذا فحق ماوقع منها محتملا للمصدرية والوصفية ان يحمل على الوصفية حملا على الاكثر الغالب وتجنبا للشاذ فمن زعم ان الوسواس مصدر مضاف اليه ذو تقديراً فقوله خارج عن القياس والاستعمال الغالب ويدل على فساد ماذهب اليه امران. أحدهما أن كل مصدر أضيف اليه ذو تقديرا فتجرده المصدرية أكثر من الوصف به كرضى وصوم وفطر وفعلال المفتوح لم يثبت تجرده المصدرية الا فى ثلاثة ألفاظ فقط وسواس ووعواع وعظعاظ على أن منع المصدرية فى هذا ممكن لان غاية مايمكن ان يستدل به على المصدرية قولهم وسوس اليه الشيطان وسواساً وهذا لايتعين المصدرية لاحتمال أن يراد به الوصفية وينتصب وسواساً على الحال ويكون حالا مؤكدة فان الحال قد يؤكد بها عاملها الموافق لها لفظا ومعنى كقوله تعالى (وأرسلناك للناس رسولا) وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره نعم انما تتعين مصدرية الوسواس اذا سمع أعوذ بالله من وسواس الشيطان ونحو ذلك مما يكون الوسواس فيه الى مضافا إلى فاعله كما سمع ذلك فى الوسوسة ولكن أين لكم ذلك فهاتوا شاهده فبذلك يتعين أن يكون الوسواس مصدرا لابانتصابه بعد الفعل . الوجه الثانى من دليل فساد من زعم ان وسواساً مصدر مضاف اليه ذو تقديرا ان المصدر المضاف اليه ذو تقديرا لايؤنث ولا يثنى ولا يجمع بل يلزم طريقة واحدة ليعلم اصالته فى المصدرية وانه عارض الوصفية فيقال امرأة صوم وامرأتان صوم ونساء صوم لان

المعنى ذات صوم وذاتا صوم وذوات صوم وفعلال الموصوف به ليس كذلك بل يثنى ويجمع ويؤنث فتقول رجل ثرثار وامرأة ثرثارة ورجال ثرثارون. وفى الحديث «ابغضكم الى الثرثارون المتفيهقون» وقالوا ريح رفرافة أى تحرك الاشجار. وريح سفسافة أى تنخل التراب. ودرع فضفاضة أى متسعة. والفعل من ذلك كله فعلل والمصدر فعللة وفعلال بالكسر ولم ينقل فى شىء من ذلك فعلال بالفتح وكذلك قالوا تمتام وفأفاء ولضلاض أى ماهر فى الدلالة وفجفاج كثير الكلام وهرهار أى ضحاك وكهكاه ووضواط أى ضعيف وحشحاش وعسعاس أى خفيف وهو كثير ومصدره كله الفعللة والوصف فعلال بالفتح ومثله هفهاف أى خميص ومثله دحداح أى قصير ومثله بجباج اى جسيم وتختاخ أى ألكن وشمشام أى سريع وشيء خشخاش أى مصوت وقعقاع مثله وأسد قضقاض أى كاسر وحية نضناض تحرك لسانها فقد رأيت فعلال فى هذا كله وصفا لا مصدرا فما بال الوسواس أخرج عن نظائره وقياس بابه فثبت أن وسواسا وصف لا مصدر كثرثار وتمتام ودحداح وبابه ويدل عليه وجه آخر وهو أنه وصفه بما يستحيل أن يكون مصدرا بل هو متعين الوصفية وهو الخناس فالوسواس والخناس وصفان لموصوف محذوف وهو الشيطان وحسن حذف الموصوف ههنا غلبة الوصف حتى صار كالعلم عليه والموصوف انما يقبح حذفه اذا كان الوصف مشتركا فيقع اللبس كالطويل والقبيح والحسن ونحوه فيتعين ذكر الموصوف ليعلم أن الصفة له لا لغيره فأما إذا غلب الوصف واختص ولم يعرض فيه اشتراك فانه يجري مجرى الاسم ويحسن حذف الموصوف كالمسلم والكافر والبر والفاجر والقاضى والداني والشاهد والوالى ونحو ذلك فحذف الموصوف هنا أحسن من ذكره. وهذا التفصيل أولى من إطلاق من منع حذف الموصوف ولم يفصل. ومما يدل على أن الوسواس وصف لا مصدر أن الوصفية أغلب على فعلال من المصدرية كما تقدم فلو أريد المصدر لأتى بذو المضافة اليه ليزول اللبس وتتعين المصدرية فان اللفظ اذا احتمل الأمرين على السواء فلا بد

من قرينة تدل على تعيين أحدهما فكيف والوصفية أغلب عليه من المصدرية وهذا بخلاف صوم وفطر وبابهما فانها مصادر لا تلتبس بالأوصاف فاذا جرت أوصافا علم أنها على حذف مضاف أو تنزيلا المصدر منزلة الوصف مبالغة على الطريقتين في ذلك فتعين أن الوسواس هو الشيطان نفسه وأنه ذات لامصدر والله أعلم *

فصل

﴿وأما الخناس﴾ فهو فعال من خنس يخنس اذا توارى واختفى . ومنه قول أبي هريرة « لقيني النبي ﷺ في بعض طرق المدينة وأنا جنب فانخنست منه » وحقيقة اللفظ اختفاء بعد ظهور فليست لمجرد الاختفاء. ولهذا وصفت بها الكواكب في قوله تعالى (فلا أقسم بالخنس) قال قتادة هي النجوم تبدو بالليل وتخنس بالنهار فتختفي ولا ترى . وكذلك قال علي رضي الله عنه هي الكواكب تخنس بالنهار فلا ترى . وقالت طائفة الخنس هي الراجعة التي ترجع كل ليلة الى جهة المشرق وهي السبعة السيارة . قالوا وأصل الخنوس الرجوع الى وراء والخناس هو مأخوذ من هذين المعنيين فهو من الاختفاء والرجوع والتأخر فان العبد اذا غفل عن ذكر الله جثم على قلبه الشيطان وانبسط عليه وبذر فيه أنواع الوساوس التي هي أصل الذنوب كلها فاذا ذكر العبد ربه واستعاذ به انخنس وانقبض كما ينخنس الشيء ليتوارى وذلك الانخناس والانقباض هو أيضا تجمع ورجوع وتأخر عن القلب الى خارج فهو تأخر ورجوع معه اختفاء . وخنس وانخنس يدل على الأمرين معا . قال قتادة الخناس له خرطوم كخرطوم الكلب في صدر الانسان فاذا ذكر العبد ربه خنس . ويقال رأسه كرأس الحية وهو واضع رأسه على ثمرة القلب يمنيه ويحدثه فاذا ذكر الله خنس واذا لم يذكره عاد ووضع رأسه يوسوس اليه ويمنيه . وجيء من هذا الفعل بوزن فعال الذي للمبالغة دون الخانس

والمنخنس إيذانا بشدة هروبه ورجوعه وعظم نفوره عند ذكر الله وأن ذلك دأبه وديدنه لا أنه يعرض له ذلك عند ذكر الله أحيانا بل اذا ذكر الله هرب وانخنس وتأخر فان ذكر الله هو مقمعته التى يقمع بها كما يقمع المفسد والشرير بالمقامع التى تردعه من سياط وحديد وعصى ونحوها فذكر الله يقمع الشيطان ويؤلمه ويؤذيه كالسياط والمقامع التى تؤذي من يضرب بها . ولهذا يكون شيطان المؤمن هزيلا ضئيلا مضنى مما يعذبه المؤمن ويقمعه بهمن ذكر الله وطاعته . وفى أثر عن بعض السلف أن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى الرجل بعيره فى السفر لأنه كلما اعترضه صب عليه سياط الذكر والتوجه والاستغفار والطاعة فشيطانه معه فى عذاب شديد ليس بمنزلة شيطان الفاجر الذى هو معه فى راحة ودعة ولهذا يكون قويا عاتيا شديدا . فمن لم يعذب شيطانه فى هذه الدار بذكر الله تعالى وتوحيده واستغفاره وطاعته عذبه شيطانه فى الآخرة بعذاب النار فلا بد لكل أحد أن يعذب شيطانه أو يعذبه شيطانه . . وتأمل كيف جاء بناء الوسواس مكررا لتكريره الوسوسة الواحدة مرارا حتى يعزم عليها العبد وجاء بناء الخناس على وزن الفعال الذى يتكرر منه نوع الفعل لأنه كلما ذكر الله انخنس ثم اذا غفل العبد عاوده بالوسوسة فجاء بناء اللفظين مطابقا لمعنييهما *

فصل

وقوله (الذى يوسوس فى صدور الناس) صفة ثالثة للشيطان فذكر وسوسته أولا ثم ذكر محلها ثانيا وأنها فى صدور الناس . وقد جعل الله للشيطان دخولا فى جوف العبد ونفوذا الى قلبه وصدره فهو يجرى منه مجرى الدم وقد وكل بالعبد فلا يفارقه الي الممات . وفى الصحيحين من حديث الزهرى عن على بن حسين عن صفية بنت حيي قالت « كان رسول الله ﷺ معتكفا

فأتيته أزوره ليلا فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معى ليقلبنى وكان مسكنها فى دار أسامة بن زيد فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبى ﷺ أسرعا فقال النبى ﷺ على رسلكما انها صفية بنت حيى فقالا سبحان الله يارسول الله فقال إن الشيطان يجرى من الانسان مجرى الدم وإنى خشيت أن يقذف فى قلوبكما سوءاً ـ أو قال ـ شيئاً » . وفى الصحيح أيضاً عن أبى سلمة ابن عبد الرحمن عن أبى هريرة قال « قال رسول الله ﷺ اذا نودى بالصلاة أدبر الشيطان وله ضراط فاذا قضى أقبل فاذا ثوب بها أدبر فاذا قضى أقبل حتى يخطر بين الانسان وقلبه فيقول اذكر كذا اذكر كذا حتى لا يدرى أثلاثا صلى أم أربعا فاذا لم يدر أثلاثا صلى أم أربعا سجد سجدتى السهو » ومن وسوسته ماثبت وفى الصحيح عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال « يأتى الشيطان أحدكم فيقول من خلق كذا من خلق كذا حتى يقول من خلق الله فمن وجد ذلك فليستعذ بالله ولينته » وفى الصحيح ان أصحاب رسول الله ﷺ قالوا يارسول الله أن أحدنا ليجد فى نفسه مالأن يخر من السماء الى الأرض أحب اليه من أن يتكلم به قال الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة » ومن وسوسته أيضا ان يشغل القلب بحديثه حتى ينسيه مايريد أن يفعله ولهذا يضاف النسيان اليه أضافته الى سببه قال تعالى حكاية عن صاحب موسى إنه قال (إنى نسيت الحوت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره) وتأمل حكمة القرآن وجلالته كيف اوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه فان قوله (من شر الوسواس) يعم كل شره ووصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وأقواها تأثيرا وأعمها فسادا وهى الوسوسة التى هى مبادى الارادة فان القلب يكون فارغا من الشر والمعصية فيوسوس اليه ويخطر الذنب بباله فيصوره لنفسه ويمنيه ويشهيه فيصير شهوة ويزينها له ويحسنها ويخيلها له فى خيال تميل نفسه إليه فيصير ارادة ثم لايزال

يمثل ويخيل ويمنى ويشهى وينسي علمه بضررها ويطوى عنه سوء عاقبتها فيحول بينه و بين مطالعته فلا يرى إلا صورة المعصية والتذاذه بها فقط وينسى ماوراء ذلك فتصير الارادة عزيمة جازمة فيشتد الحرص عليها من القلب فيبعث الجنود فى الطلب فيبعث الشيطان معهم مدداً لهم وعونا فان فتروا حرّكهم وان ونوا أزعجهم كما قال تعالى (ألم ترانا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا) أى تزعجهم الي المعاصى إزعاجا كلما فتروا او ونوا أزعجتهم الشياطين وازتهم وأثارتهم فلا تزال بالعبد تقوده الى الذنب وتنظم شمل الاجتماع بألطف حيلة وأتم مكيدة قد رضى لنفسه بالقيادة لفجرة بنى آدم وهو الذى استكبر وأبى أن يسجد لابيهم فلا بتلك النخوة والكبر ولا (١) يرضاه أن يصير قواد الكل من عصى الله كما قال بعضهم

عجبت من إبليس فى تيهه * وقبح ما أظهر من نخوته
تاه على آدم فى سجدة * وصار قوادا لذريته

فاصل كل معصية وبلاء إنما هو الوسوسة فلهذا وصفه بها لتكون الاستعاذة من شرها أهم من كل مستعاذ منه وإلا فشره بغير الوسوسة حاصل أيضا فمن شره إبه لص سارق لاموال الناس فكل طعام أوشراب لم يذكر اسم الله عليه فله فيه حظ بالسرقة والخطف وكذلك يبيت فى البيت اذا لم يذكر فيه اسم الله فيأكل طعام الانس بغير إذنهم ويبيت فى بيوتهم بغير أمرهم فيدخل سارقا ويخرج مغيرا ويدل على عوراتهم فيأمر العبد بالمعصية ثم يلقى فى قلوب الناس يقظة ومناما انه فعل كذا وكذا ومن هذا أن العبد يفعل الذنب لايطلع عليه أحد من الناس فيصبح والناس يتحدثون به وما ذاك إلا أن الشيطان زينه له وألقاه فى قلبه ثم وسوس إلى الناس بما فعل وألقاه إليهم فأوقعه فى الذنب ثم

(١) الظاهر الذى يقتضيه المعنى فلم تمنعه النخوة والكبر أن يصير قوادا لكل من عصى الله اهـ

فضحه به فالرب تعالى يستره والشيطان يجهد فى كشف ستره وفضيحته فيفتر العبد ويقول هذا ذنب لم يره إلا الله ولم يشعر بأن عدوه ساع فى إذاعته وفضيحته وقل من يتفطن من الناس لهذه الدقيقة ومن شره أنه اذا نام العبد عقد على رأسه عقدا تمنعه من اليقظة كما فى صحيح البخارى عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب على كل عقدة مكانها عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ فذكر الله انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقده كلها فأصبح نشيطا طيب النفس والا أصبح خبيث النفس كسلان» ومن شره انه يبول فى اذن العبد حتى ينام الى الصباح كما ثبت عن النبى ﷺ انه ذكر عنده رجل نام ليله حتى أصبح قال «ذاك رجل بال الشيطان فى اذنيه أو قال فى اذنه» رواه البخارى ومن شره انه قعد لابن آدم بطرق الخير كلها فما من طريق من طرق الخير الا والشيطان مرصد عليه يمنعه بجهده أن يسلكه فان خالفه وسلكه ثبطه فيه وعوقه وشوش عليه بالمعارضات والقواطع فان عمله وفرغ منه قيض له مايبطل أثره ويرده على حافرته ويكفى من شره انه أقسم بالله ليقعدن لبنى آدم صراطه المستقيم واقسم ليأتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولقد بلغ شره أن أعمل المكيدة وبالغ فى الحيلة حتى أخرج آدم من الجنة ثم لم يكفه ذلك حتى استقطع من أولاده شرطة للنار من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين ثم لم يكفه ذلك حتى أعمل الحيلة فى إبطال دعوة الله من الارض وقصد أن تكون الدعوة له وان يعبد من دون الله فهو ساع باقصى جهده على اطفاء نور الله وابطال دعوته واقامة دعوة الكفر والشرك ومحو التوحيد وأعلامه من الارض ويكفى من شره أنه تصدى لابراهيم خليل الرحمن حتى رماه قومه بالمنجنيق فى النار فرد الله كيده عليه وجعل النار على خليله بردا وسلاما وتصدى المسيح ﷺ حتى أراد اليهود قتله وصلبه فرد الله كيده وصان المسيح ورفعه اليه وتصدى لزكريا ويحيى

حتى قتلا واستثار فرعون حتى زين له الفساد العظيم فى الارض ودعوى انه ربهم الاعلا وتصدى للنبى ﷺ وظاهر الكفار على قتله بجهده والله تعالى يكتبه ويرده خاسئاً وتفلت على النبى ﷺ بشهاب من نار يريد أن يرميه به وهو فى الصلاة فجعل النبى ﷺ يقول العنك بلعنة الله .وأعان اليهود على سحرهم للنبى ﷺ فاذا كان هذا شأنه وهمته فى الشر فكيف الخلاص منه الابمعونة الله وتأييده واعاذته ولا يمكن حصر اجناس شره فضلا عن آحادها اذ كل شر فى العالم فهو السبب فيه ولكن ينحصر شره فى ستة أجناس لايزال بابن آدم حتى ينال منه واحدا منها أو أكثر ﴿الشر الأول﴾ شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فاذا ظفر بذلك من ابن آدم برد انينه واستراح من تعبه معه وهو أول مايريد من العبد فلا يزال به حتى يناله منه فاذا نال ذلك صيره من جنده وعسكره واستناب به على أمثاله وأشكاله فصار من دعاة ابليس ونوابه فان يأس منه من ذلك وكان ممن سبق له الاسلام فى بطن أمه نقله الى المرتبة الثانية من الشر وهى البدعة وهى أحب اليه من الفسوق والمعاصي لان ضررها فى نفس الدين وهو ضرر متعد وهي ذنب لايتاب منه وهي مخالفة لدعوة الرسل ودعا الى خلاف ماجاؤا به وهي باب الكفر والشرك فاذا نال منه البدعة وجعله من أهلها بقى أيضاً نائبه وداعيا من دعاته فان أعجزه من هذه المرتبة وكان العبد ممن سبقت له من الله موهبة السنة ومعاداة أهل البدع والضلال نقله الى المرتبة الثالثة من الشر وهي الكبائر على اختلاف أنواعها فهو أشد حرصا على أن يوقعه فيها ولاسيما ان كان عالما متبوعا فهو حريص على ذلك لينفر الناس عنه ثم يشيع من ذنوبه ومعاصيه فى الناس ويستنيب منهم من يشيعها ويذيعها تدينا وتقربا بزعمه الى الله تعالي وهو نائب ابليس ولا يشعر فان الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم هذا اذا أحبوا اشاعتها واذاعتها فكيف اذا تولوا هم شاعتها وإذاعتها لا نصيحة منهم ولكن طاعة لابليس ونيابة عنه كل ذلك لينفر

الناس عنه وعن الانتفاع به وذنوب هذا ولو بلغت عنان السماء أهون عند الله من ذنوب هؤلاء فانها ظلم منه لنفسه اذا استغفر الله وتاب اليه قبل الله توبته وبدل سيئاته حسنات وأما ذنوب اولئك فظلم للمؤمنين وتتبع لعوراتهم وقصد لفضيحتهم والله سبحانه بالمرصاد لاتخفي عليه كمائن الصدور ودسائس النفوس فان عجز الشيطان عن هذه المرتبة نقله الى المرتبة الرابعة وهى الصغائر التى اذا اجتمعت فربما أهلكت صاحبها كما قال النبى ﷺ إياكم ومحقرات الذنوب فان مثل ذلك مثل قوم نزلوا بفلاة من الارض وذكر حديثا معناه أن كل واحد منهم جاء بعود حطب حتى أوقدوا نارا عظيمة فطبخوا واشتووا ولا يزال يسهل عليه امر الصغائر حتى يستهين بها فيكون صاحب الكبيره الخائف منها أحسن حالا منه فان أعجزه العبد من هذه المرتبة نقله الى المرتبة الخامسة وهى اشغاله بالمباحات التى لاثواب فيها ولاعقاب بل عاقبتها فوت الثواب الذى ضاع عليه باشتغاله بها فان أعجزه العبد من هذه المرتبة وكان حافظا لوقته شحيحا به يعلم مقدار أنفاسه وانقطاعها وما يقابلها من النعيم والعذاب نقله الى المرتبة السادسة وهو أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليزيح عنه الفضيلة ويفوته ثواب العمل الفاضل فيأمره بفعل الخير المفضول ويحضه عليه ويحسنه له اذا تضمن ترك ماهو أفضل وأعلى منه وقل من يتنبه لهذا من الناس فانه اذا رأى فيه داعيا قويا ومحركا الى نوع من الطاعة لايشك انه طاعة وقربة فانه لايكاد يقول ان هذا الداعى من الشيطان فان الشيطان لا يأمر بخير ويرى أن هذا خير فيقول هذا الداعى من الله وهو معذور ولم يصل علمه الى أن الشيطان يأمر بسبعين بابا من أبواب الخير اما ليتوصل بها الى باب واحد من الشر واما ليفوت بها خيرا أعظم من تلك السبعين بابا وأجل وأفضل وهذا لا يتوصل الى معرفته الا بنور من الله يقذفه فى قلب العبد يكون سببه تجريد متابعة الرسول ﷺ وشدة عنايته بمراتب الاعمال عند الله وأحبها اليه وارضاها له وأنفعها للعبد واعمها نصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولعباده المؤمنين خاصتهم وعامتهم ولايعرف هذا الا من

كان من ورثة الرسول ﷺ ونوابه فى الامة وخلفائه فى الارض وأكثر الخلق محجوبون عن ذلك فلا يخطر بقلوبهم والله يمن بفضله على من يشاء من عباده فاذا أعجزه العبد من هذه المراتب الست وأعى عليه سلط عليه حزبه من الانس والجن بأنواع الاذى والتكفير والتضليل والتبديع والتحذير منه وقصد إخماله وأطفاءه ليشوش عليه قلبه ويشغل بحربه فكره وليمنع الناس من الانتفاع به فيبقى سعيه فى تسليط المبطلين من شياطين الانس والجن عليه لا يفتر ولا ينى فحينئذ يلبس المؤمن لامة الحرب ولا يضعها عنه إلى الموت ومتى وضعها اسر أو أصيب فلا يزال فى جهاد حتى يلقى الله. فتأمل هذا الفصل وتدبر موقعه وعظيم منفعته واجعله ميزانك تزن به الناس وتزن به الأعمال فانه يطلعك على حقائق الوجود ومراتب الخلق والله المستعان وعليه التكلان ولو لم يكن فى هذا التعليق الا هذا الفصل لكان نافعا لمن تدبره ووعاه *

فصل

وتأمل السر فى قوله تعالى (يوسوس فى صدور الناس) ولم يقل فى قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات اليه فتجتمع فى الصدر ثم تلج فى القلب فهو بمنزلة الدهليز له ومن القلب تخرج الأوامر والارادات إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود ومن فهم هذا فهم قوله تعالى (وليبتلي الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم) فالشيطان يدخل الى ساحة القلب وبيته فيلقى ما يريد القاءه الى القلب فهو موسوس فى الصدر ووسوسته واصلة الى القلب ولهذا قال تعالى (فوسوس إليه الشيطان) ولم يقل فيه لان المعنى أنه القى اليه ذلك وأوصله اليه فدخل فى قلبه .

فصل

وقوله تعالى (من الجنة والناس) اختلف المفسرون فى هذا الجار والمجرور بم يتعلق. فقال الفراء وجماعة هو بيان للناس الموسوس فى صدورهم والمعنى يوسوس في صدور الناس الذين هم من الجن والانس أى الموسوس فى صدورهم قسمان أنس وجن فالوسواس يوسوس للجنى كما يوسوس للانسى وعلى هذا القول فيكون من الجنة والناس نصب على الحال لانه مجرور بعد معرفة على قول البصريين وعلى قول الكوفيين نصب بالخروج من المعرفة هذه عبارتهم ومعناها أنه لما لم يصلح أن يكون نعتا للمعرفة انقطع عنها فكان موضعه نصبا والبصريون يقدرونه حالا أى كائنين من الجنة والناس وهذا القول ضعيف جدا لوجوه. أحدها أنه لم يقم دليل على أن الجنى يوسوس فى صدور الجن ويدخل فيه كما يدخل فى الانسى ويجرى منه مجراه من الانسى فأى دليل يدل على هذا حتى يصح حمل الآيه عليه. الثانى أنه فاسد من جهة اللفظ أيضا فانه قال الذى يوسوس في صدور الناس فكيف يبين الناس بالناس فان معنى الكلام على قوله يوسوس فى صدور الناس الذين هم او كائنين من الجنة والناس افيجوز أن يقال فى صدور الناس الذين هم من الناس وغيرهم هذا مالا يجوز ولا هو استعمال فصيح الثالث أن يكون قد قسم الناس الى قسمين جنة وناس وهذا غير صحيح فان الشيء لا يكون قسيم نفسه. الرابع ان الجنة لا يطلق عليهم اسم الناس بوجه لا أصلا ولا اشتقاقا ولا استعمالا ولفظهما يأبى ذلك فان الجن انما سموا جنا من الاجتنان وهو الاستتار فهم مستترون عن أعين البشر فسموا جنا لذلك من قولهم جنه الليل واجنه إذا ستره واجن الميت إذا ستره فى الأرض قال

ولا نبك ميتا بعد ميت أجنه * على رعباس وآل أبى بكر

يريد النبي ﷺ ومنه الجنين لاستتاره فى بطن أمه قال تعالى(واذأنتم أجنة فى بطون امهاتكم)ومنه المجن لاستتار المحارب به من سلاح خصمه ومنه الجنة لاستتار داخلها بالاشجار ومنه الجنة بالضم لما يقى الانسان من السهام والسلاح ومنه المجنون لاستتار عقله وأما الناس فبينه وبين الانس مناسبة فى اللفظ والمعنى وبينهما اشتقاق اوسط وهو عقد (١) تقاليب الكلمة على معنى واحد والانس والانسان مشتق من الايناس وهو الرؤية والاحساس ومنه قوله (آنس من من جانب الطور نارا)أى رآها ومنه (فان آنستم منهم رشداً) أى أحسستموه ورأيتموه فالانسان سمى إنساناً لانه يونس أى يرى بالعين والناس فيه قولان أحدهما أنه مقلوب من أنس وهو بعيد والأصل عدم القلب والثانى وهو الصحيح أنه من النوس وهو الحركة المتتابعة فسمى الناس ناساً للحركة الظاهرة والباطنة كما سمى الرجل حارث وهمام وهما أصدق الاسماء كما قال النبي ﷺ لان كل أحد له هم وإرادة وهى مبدأ وحرث وعمل هو منتهى فكل أحد حارث وهمام والحرث والهم حركتا الظاهر والباطن وهو حقيقة النوس وأصل ناس نوس تحركت الواو وقبلها فتحة فصارت ألفاً هذان هما القولان المشهوران فى اشتقاق الناس وأما قول بعضهم أنه من النسيان وسمى الانسان إنسانا لنسيانه وكذلك الناس سموا ناسا لنسيانهم فليس هذا القول بشيء واين النسيان الذى مادته ن س ي الى الناس الذى مادته ن و س وكذلك اين هو من الانس الذى مادته ا ن س وأما انسان فهو فعلان من أن س والالف والنون فى آخره زائدتان لايجوز فيه غير هذا البتة اذ ليس فى كلامهم أنسن حتى لايكون إنسانا إفعالا منه ولايجوز ان يكون الالف والنون فى أوله زائدتين اذ ليس فى كلامهم انفعل فيتعين انه فعلان من الانس ولو كان مشتقا من نسى لكان نسيانا لا إنسانا فان قلت فهلا جعلته إفعالا وأصله إنسيان كإبلة إصحيان ثم حذفت الياء تخفيفا فصار إنسانا ﴿ قلت ﴾ يأبى ذلك

(١) معناه رجوع تقاليب الكلمة أى تصرفاتها الى معنى واحد

عدم إفعلال فى كلامهم وحذف الياء بغير سبب ودعوى مالا نظير له وذلك كله فاسد على أن الناس قد قيل إن أصله الأناس فحذفت الهمزة فقيل الناس واستدل بقول الشاعر * إن المنايا يطلعن على الأناس الغافلينا * ولا ريب أن أناسا فعال ولا يجوز فيه غير ذلك البتة فان كان أصل ناس أناسا فهو أقوى الأدلة على أنه من أنس ويكون الناس كالانسان سواء فى الاشتقاق ويكون وزن ناس على هذا القول عال لأن المحذوف فاؤه وعلى القول الأول يكون وزنه فعل لأنه من النوس . وعلى القول الضعيف يكون وزنه فلع لأنه من نسى فقلبت لامه الى موضع العين فصار ناسا ووزنه فلعا . والمقصود أن الناس إسم لبنى آدم فلا يدخل الجن فى مسماهم فلا يصح أن يكون من الجنة والناس بيانا لقوله (فى صدور الناس) وهذا واضح لاخفاء فيه ﴿ فان قيل ﴾ لامحذور فى ذلك فقد أطلق على الجن إسم الرجال كما فى قوله تعالى (وأنه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن) فاذا أطلق عليهم إسم الرجال لم يمتنع أن يطلق عليهم إسم الناس ﴿ قلت ﴾ هذا هو الذى غر من قال إن الناس إسم للجن والانس فى هذه الآية . وجواب ذلك أن إسم الرجال إنما وقع عليهم وقوعا مقيدا فى مقابلة ذكر الرجال من الانس ولا يلزم من هذا أن يقع إسم الناس والرجال عليهم مطلقا . وأنت اذا قلت إنسان من حجارة أو رجل من خشب ونحو ذلك لم يلزم من ذلك وقوع إسم الرجل والانسان عند الاطلاق على الحجر والخشب وأيضا فلا يلزم من إطلاق إسم الرجل على الجنى أن يطلق عليه إسم الناس وذلك لأن الناس والجنة متقابلان وكذلك الانس والجن فالله سبحانه يقابل بين اللفظين كقوله (يامعشر الجن والانس) وهو كثير فى القرآن . وكذلك قوله (من الجنة والناس) يقتضى أنهما متقابلان فلا يدخل أحدهما فى الآخر بخلاف الرجال والجن فانهما لم يستعملا متقابلين فلا يقال الجن والرجال كما يقال الجن والانس وحينئذ فالآية أبين حجة عليهم فى أن الجن لايدخلون فى لفظ الناس لأنه قابل بين الجنة

والناس فعلم أن أحدهما لا يدخل فى الآخر فالصواب القول الثانى وهو أن قوله (من الجنة والناس) بيان للذى يوسوس وأنهم نوعان إنس وجن فالجنى يوسوس فى صدور الانس والانسى أيضا يوسوس الى الانسى . فالموسوس نوعان إنس وجن فان الوسوسة هي الالقاء الخفى فى القلب وهذا مشترك بين الجن والانس وان كان إلقاء الانسى ووسوسته إنما هي بواسطة الأذن والجنى لايحتاج الى تلك الواسطة لأنه يدخل فى ابن آدم ويجرى منه مجرى الدم على أن الجنى قد يتمثل له ويوسوس إليه فى أذنه كالانسى كما فى البخارى عن عروة عن عائشة عن النبى ﷺ أنه قال « إن الملائكة تحدث فى العنان والعنان الغمام بالأمر يكون فى الأرض فتستمع الشياطين الكلمة فتقرها فى أذن الكاهن كما تقر القارورة فيزيدون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » فهذه وسوسة وإلقاء من الشيطان بواسطة الأذن ونظير اشتراكهما فى هذه الوسوسة اشتراكهما فى الوحى الشيطانى قال تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا شياطين الانس والجن يوحى بعضهم الى بعض زخرف القول غروراً) فالشيطان يوحى الى الانسى باطله ويوحيه الانسى الى إنسى مثله فشياطين الانس والجن يشتركان فى الوحى الشيطانى ويشتركان فى الوسوسة وعلى هذا فتزول تلك الاشكالات والتعسفات التى ارتكبها أصحاب القول الأول . وتدل الآية على الاستعاذة من شر نوعى الشياطين شياطين الانس والجن . وعلى القول الأول انما تكون الاستعاذة من شر شياطين الجن فقط فتأمله فانه بديع جدا . فهذا ما من الله به من الكلام على بعض أسرار هاتين السورتين وله الحمد والمنة وعسى الله أن يساعد بتفسير على هذا النمط فما ذلك على الله بعزيز والحمد لله رب العالمين ونختم الكلام على السورتين بذكر

قاعدة نافعة

﴿ فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع به شره ويحترز به منه ﴾

وذلك عشرة أسباب . أحدها الاستعاذة بالله من الشيطان. قال تعالى (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) وفى موضع آخر (إنه سميع عليم) وقد تقدم أن السمع المراد به ههنا سمع الاجابة لامجرد السمع العام . وتأمل سر القرآن كيف أكد الوصف بالسميع العليم بذكر صيغة هو الدال على تأكيد النسبة واختصاصها وعرف الوصف بالألف واللام فى سورة حم لاقتضاء المقام لهذا التأكيد وتركه فى سورة الأعراف لاستغناء المقام عنه فان الأمر بالاستعاذة فى سورة حم وقع بعد الأمر بأشق الأشياء على النفس وهو مقابلة إساءة المسىء بالاحسان اليه وهذا أمر لا يقدر عليه إلا الصابرون ولا يلقاه إلا ذو حظ عظيم كما قال الله تعالى . والشيطان لايدع العبد يفعل هذا بل يريه أن هذا ذل وعجز ويسلط عليه عدوه فيدعوه الى الانتقام ويزينه له فان عجز عنه دعاه الى الاعراض عنه وأن لايسىء اليه ولا يحسن فلا يؤثر الاحسان الى المسىء الا من خافه وآثر الله وما عنده على حظه العاجل فكان المقام مقام تأكيد وتحريض فقال فيه (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه هو السميع العليم) وأما فى سورة الأعراف فانه أمره أن يعرض عن الجاهلين وليس فيها الأمر بمقابلة إساءتهم بالاحسان بل بالاعراض وهذا سهل على النفوس غير مستعصى عليها فليس حرص الشيطان وسعيه فى دفع هذا كحرصه على دفع المقابلة بالاحسان فقال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم) وقد تقدم ذكر الفرق بين هذين الموضعين وبين قوله فى

حم المؤمن (فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير) وفى صحيح البخارى عن عدى ابن ثابت عن سليمان بن صرد قال « كنت جالسا مع النبى ﷺ ورجلان يستبان فأحدهما احمرّ وجهه وانتفخت أوداجه فقال النبى ﷺ إنى لأعلم كلمة لو قالها ذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (١) ذهب عنه ما يجد » ﴿ الحرز الثانى ﴾ قراءة هاتين السورتين فان لهما تأثيرا عجيباً فى الاستعاذة بالله من شره ودفعه والتحصن منه . ولهذا قال النبى ﷺ « ما تعوذ المتعوذون بمثلهما » وقد تقدم أنه كان يتعوذ بهما كل ليلة عند النوم وأمر عقبة أن يقرأ بهما دبر كل صلاة . وتقدم قوله ﷺ « إن من قرأهما مع سورة الاخلاص ثلاثا حين يمسي وثلاثا حين يصبح كفته من كل شيء » ﴿ الحرز الثالث ﴾ قراءة آية الكرسى ففي الصحيح من حديث محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال « وكلنى رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان فأتى آت فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت لأرفعنك الى رسول الله ﷺ فذكر الحديث فقال اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسي فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح فقال النبى ﷺ صدقك وهو كذوب ذاك الشيطان » . وسنذكر إن شاء الله تعالى السر الذى لأجله كان لهذه الآية العظيمة هذا التأثير العظيم فى التحرز من الشيطان واعتصام قارئها بها فى كلام مفرد عليها وعلى أسرارها وكنوزها بعون الله وتأييده . ﴿ الحرز الرابع ﴾ قراءة سورة البقرة ففى الصحيح من حديث سهل عن عبد الله عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « لا تجعلوا بيوتكم قبورا وأن البيت الذى تقرأ فيه البقرة لا يدخله الشيطان » ﴿ الحرز الخامس ﴾ خاتمة سورة البقرة فقد ثبت فى الصحيح من حديث أبى موسى (٢) الأنصارى قال « قال رسول الله ﷺ من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » وفى الترمذي عن النعمان بن بشير عن النبى ﷺ قال « إن الله كتب كتابا قبل أن

(١) في نسخة بحذف الرجيم والعمل على الرواية (٢) في نسخة ابن مسعود

يخلق الخلق بألفى عام أنزل منه آيتين ختم بهما سورة البقرة فلا يقرآن فى دار ثلاث ليال فيقربها شيطان » ﴿ الحرز السادس ﴾ أول سورة حم المؤمن الى قوله (اليه المصير) مع آية الكرسى ففى الترمذى من حديث عبد الرحمن بن أبى بكر عن ابن أبى مليكة عن زرارة بن مصعب عن أبى سلمة عن أبى هريرة قال « قال رسول الله ﷺ من قرأ حم المؤمن الى (اليه المصير) وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح » وعبد الرحمن المليكي وإن كان قد تكلم فيه من قبل حفظه فالحديث له شواهد فى قراءة آية الكرسى وهو محتمل على غرابته ﴿ الحرز السابع ﴾ لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير مائة مرة ففى الصحيحين من حديث سمى مولى أبى بكر عن أبى صالح عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال « من قال لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به الا رجل عمل أكثر من ذلك » فهذا حرز عظيم النفع جليل الفائدة يسير سهل على من يسره الله عليه ﴿ الحرز الثامن ﴾ وهو من أنفع الحروز من الشيطان كثرة ذكر الله عز وجل. ففى الترمذى من حديث الحارث الأشعرى أن النبى ﷺ قال « إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها ويأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها وأنه كاد أن يبطىء بها فقال عيسى إن الله أمرك بخمس كلمات لتعمل بها وتأمر بنى إسرائيل أن يعملوا بها فاما أن تأمرهم وإما أن آمرهم فقال يحيى أخشى إن سبقتنى بها أن يخسف بى أو أعذب فجمع الناس فى بيت المقدس فامتلأ وقعدوا على الشرف فقال إن الله أمرنى بخمس كلمات أن أعمل بهن وآمركم أن تعملوا بهن أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وأن مثل من أشرك بالله كمثل رجل اشترى عبداً من خالص ماله بذهب أو

ورق فقال هذه داري وهذا عملي فاعمل وأدّ إليّ فكان يعمل ويؤدي إلى غير سيده فأيكم يرضى أن يكون عبده كذلك وأن الله أمركم بالصلاة فاذا صليتم فلا تلتفتوا فان الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته مالم يلتفت . وأمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل في عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم يعجب أو يعجبه ريحها وإن ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . وأمركم بالصدقة فان مثل ذلك كمثل رجل أسره العدو فأوثقوا يده إلى عنقه وقدموه ليضربوا عنقه فقال أنا أفديه منكم بالقليل والكثير ففدى نفسه منهم . وأمركم أن تذكروا الله فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعا حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله قال النبي ﷺ وأنا آمركم بخمس الله أمرني بهن . السمع والطاعة . والجهاد . والهجرة . والجماعة فان من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه إلا أن يراجع . ومن ادعى دعوى الجاهلية فانه من حثاء جهنم فقال رجل يارسول الله وإن صلى وصام قال وإن صلى وصام فادعوا بدعوى الله الذي سماكم المسلمين المؤمنين عباد الله» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب صحيح. وقال البخاري الحارث الأشعري له صحبة وله غير هذا الحديث فقد أخبر النبي ﷺ في هذا الحديث أن العبد لايحرز نفسه من الشيطان الا بذكر الله وهذا بعينه هو الذي دلت عليه سورة قل أعوذ برب الناس فانه وصف الشيطان فيها بانه الخناس والخناس الذي اذا ذكر العبد الله انخنس وتجمع وانقبض واذا غفل عن ذكر الله التقم القلب والقى اليه الوساوس التي هي مبادىء الشر كله فما أحرز العبد نفسه من الشيطان بمثل ذكر الله عز وجل ﴿ الحرز التاسع ﴾ الوضوء والصلاة وهذا من أعظم مايتحرز به منه ولاسيما عند توارد قوة الغضب والشهوة فانها نار تغلي في قلب ابن آدم كما في الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ انه قال «الا وان الغضب جمرة في قلب ابن آدم أما رأيتم الي حمرة

عينيه وانتفاخ أوداجه فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالارض» وفي أثر آخر «ان الشيطان خلق من نار وانما تطفأ النار بالماء» فما أطفأ العبد جمرة الغضب والشهوة بمثل الوضوء والصلاة فانها نار والوضوء يطفئها والصلاة اذا وقعت بخشوعها والاقبال فيها على الله أذهبت أثر ذلك كله وهذا أمر تجربته تغني عن اقامة الدليل عليه ﴿ الحرز العاشر ﴾ إمساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس فان الشيطان انما يتسلط على ابن آدم وينال منه غرضه من هذه الأبواب الأربعة فان فضول النظر يدعو الي الاستحسان ووقوع صورة المنظور اليه في القلب والاشتغال به والفكرة في الظفر به فمبدأ الفتنة من فضول النظر كما في المسند عن النبي ﷺ انه قال النظرة سهم مسموم من سهام ابليس فمن غض بصره لله أورثه الله حلاوة يجدها في قلبه الى يوم يلقاه أو كما قال ﷺ فالحوادث العظام إنما كلها من فضول النظر فكم نظرة أعقبت حسرات لا حسرة كما قال الشاعر

كل الحوادث مبداها من النظر * ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها * فتك السهام بلا قوس ولا وتر

وقال الآخر

وكنت متى أرسلت طرفك رائدا * لقلبك يوما اتعبتك المناظر
رأيت الذي لا كله أنت قادر * عليه ولا عن بعضه أنت صابر

وقال المتنبي

وانا الذي جلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

ولي من أبيات

يارامیا بسهام اللحظ مجتهدا * أنت القتيل بما ترمي فلا تصب
وباعث الطرف يرتاد الشفاء له * توقه أنه يرتد بالعطب
ترجو الشفاء باحداق بها مرض * فهل سمعت ببرء جاء من عطب
ومفنيا نفسه في أثر أقبحهم * وصفا للطخ جمال فيه مستلب

وواهبا عمره فى مثل ذاسفها * لو كنت تعرف قدر العمر لم تهب
وبائعا طيب عيش ماله خطر * بطيف عيش من الآلام منتهب
غبنت والله غبنا فاحشا فلو اسـ * ـترجعت ذا العقد لم تغبن ولم تخب
وواردا صفو عيش كله كدر * امامك الورد صفو ليس بالكذب
وحاطب الليل فى الظلماء منتصبا * لكل داهيـة تدنى من العطب
شاب الصبا والتصابى بعد لم يشب * وضاع وقتك بين اللهو واللعب
وشمس عمرك قد حان الغروب لها * والضي فى الافق الشرقي لم يغب
وفاز بالوصل من قد فاز وانقشعت * عن افقه ظلمات الليل والسحب
كم ذا التخلف والدنيا قد ارتحلت * ورسل ربك قد وافتك فى الطلب
مافى الديار وقد سارت ركائب من * تهواه للصب من سكنى ولا ارب
فأفرش الخد ذياك التراب وقل * ماقاله صاحب الاشواق في الحقب
ماربع ميـة محفوفا يطوف به * غيلان أشهى له من ربعك الخرب
ولا الخدود وان أدمين من ضرج[1] * اشهى الى ناظري من خدك الترب
منازلا كان يهواها ويألفها * أيام كان منال الوصل عن كثب
فكلما جليت تلك الربوع له * يهوى اليها هوى الماء فى صبب
أحيى له الشوق تذكار العهود بها * فلو دعا القلب للسلوان لم يجب
هذا وكم منزل فى الارض يألفه * وماله فى سواها الدهر من رغب
مافى الخيام اخو وجد يحك ان * يثنيه بعض شأن الحب فاغترب
واسر فى غمرات الليل مهتديا * بنفحة الطيب لا بالنار والحطب
وعاد كل أخى جبن ومعجزة * وحارب النفس لا تلقيك[2] فى الحرب

(١) في القاموس تضرج الخد أحمار فالضرج الاحمرار

(٢) فى النهاية الحرب بالتحريك نهب مال الانسان وتركه لاشىء له فاطعن حارب النفس لئلا تسلب الفضيلة أو رأس مالك وهو العمر

وخذ لنفسك نورا تستضيء به * يوم اقتسام الورى الأنوار بالرتب
فالجسر ذو ظلمات ليس يقطعه * الا بنور ينجى العبد فى الكرب

والمقصود أن فضول النظر أصل البلاء وأما فضول الكلام فانها تفتح للعبد أبوابا من الشر كلها مداخل للشيطان فامساك فضول الكلام يسد عنه تلك الأبواب كلها وكم من حرب جرتها كلمة واحدة وقد قال النبي ﷺ لمعاذ وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار الا حصائد ألسنتهم .وفى الترمذى ان رجلا من الأنصار توفى فقال بعض الصحابة طوبى له فقال النبي ﷺ فما يدريك فلعله تكلم بما لا يعنيه او بخل بمالا ينقصه وأكثر المعاصى انما تولدها من فضول الكلام والنظر وهما أوسع مداخل الشيطان فان جار حتيهما لا يملان ولا يستئمان بخلاف شهوة البطن فانه إذا امتلىء لم يبق فيه ارادة للطعام وأما العين واللسان فلو تركا لم يفترا من النظر والكلام فجنايتهما متسعة الأطراف كثيرة الشعب عظيمة الآفات وكان السلف يحذرون من فضول النظر كما يحذرون من فضول الكلام وكانوا يقولون ماشيء أحوج إلى طول السجن من اللسان. وأما فضول الطعام فهو داع الى أنواع كثيرة من الشر فانه يحرك الجوارح الى المعاصي ويثقلها عن الطاعات وحسبك بهذين شرا فكم من معصية جلبها الشبع وفضول الطعام وكم من طاعة حال دونها فمن وقى شر بطنه فقد وقى شرا عظيما والشيطان أعظم ما يتحكم من الانسان اذا ملأ بطنه من الطعام .ولهذا جاء فى بعض الآثار ضيقوا مجارى الشيطان بالصوم وقال النبي ﷺ «ماملأ آدمى وعاء شرا من بطن» ولو لم يكن فى الامتلاء من الطعام الا أنه يدعو الى الغفلة عن ذكر الله عزوجل واذا غفل القلب عن الذكر ساعة واحدة جثم عليه الشيطان ووعده ومناه وشهاه وهام به فى كل واد فان النفس اذا شبعت تحركت وجالت وطافت على أبواب الشهوات وإذا جاعت سكنت وخشعت وذلت . وأما فضول المخالطة فهى الداء العضال الجالب لكل شر وكم سلبت المخالطة والمعاشرة من نعمة وكم زرعت من عداوة وكم

غرست فى القلب من حزازات تزول الجبال الراسيات وهى فى القلوب لا تزول بفضول المخالطة فيه خسارة الدنيا والآخرة وانما ينبغى للعبد أن يأخذ من المخالطة بمقدار الحاجة . ويجعل الناس فيها أربعة أقسام متى خلط أحد الأقسام بالآخر ولم يميز بينهما دخل عليه الشر . أحدها من مخالطته كالغذاء لا يستغنى عنه فى اليوم والليلة فاذا أخذ حاجته منه ترك الخلطة ثم إذا احتاج اليه خالطه هكذا على الدوام وهذا الضرب أعز من الكبريت الأحمر وهم العلماء بالله وأمره ومكايد عدوه وأمراض القلوب وأدويتها الناصحون لله ولكتابه ولرسوله ولخلقه فهذا الضرب فى مخالطتهم الربح كله ﴿ القسم الثانى ﴾ من مخالطته كالدواء يحتاج اليه عند المرض فمادمت صحيحا فلا حاجة لك فى خلطته وهم من لا يستغنى عن مخالطتهم فى مصلحة المعاش وقيام ما أنت محتاج إليه من أنواع المعاملات والمشاركات والاستشارة والعلاج للادواء ونحوها فاذا قضيت حاجتك من مخالطة هذا الضرب بقيت مخالطتهم من ﴿ القسم الثالث ﴾ وهم من مخالطته كالداء على اختلاف مراتبه وأنواعه وقوته وضعفه فمنهم من مخالطته كالداء العضال والمرض المزمن وهو من لا تربح عليه فى دين ولا دنيا ومع ذلك فلا بد من أن تخسر عليه الدين والدنيا أو أحدهما فهذا اذا تمكنت مخالطته واتصلت فهى مرض الموت المخوف . ومنهم من مخالطته كوجع الضرس يشتد ضربا عليك فاذا فارقك سكن الالم . ومنهم من مخالطته حمى الروح وهو الثقيل البغيض العقل الذى لا يحسن أن يتكلم فيفيدك ولا يحسن أن ينصت فيستفيد منك ولا يعرف نفسه فيضعها فى منزلتها بل ان تكلم فكلامه كالعصى تنزل على قلوب السامعين مع إعجابه بكلامه وفرحه به فهو يحدث من فيه كلما تحدث ويظن أنه مسك يطيب به المجلس وان سكت فأثقل من نصف الرحا العظيمة التى لا يطاق حملها ولا جرها على الأرض ويذكر عن الشافعى رحمه الله أنه قال ماجلس إلى جانبى ثقيل إلا وجدت الجانب

الذى هو فيه أنزل من الجانب الآخر * ورأيت يوما عند شيخنا قدس الله روحه رجلا من هذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله فالتفت إلىّ وقال مجالسة الثقيل حمى الربع ثم قال لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت لها عادة أو كما قال * وبالجملة فمخالطة كل مخالف حمى للروح فعرضية ولازمة . ومن نكد الدنيا على العبد أن يبتلى بواحد من هذا الضرب وليس له بد من معاشرته ومخالطته فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجا ومخرجا .

﴿ القسم الرابع ﴾ من مخالطته الهلاك كله ومخالطته بمنزلة أكل السم فان اتفق لآكله ترياق والا فأحسن الله فيه العزاء وما أكثر هذا الضرب فى الناس لا كثرهم الله وهم أهل البدع والضلالة الصادون عن سنة رسول الله ﷺ الداعون الى خلافها الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا فيجعلون البدعة سنة والسنة بدعة والمعروف منكرا والمنكر معروفا إن جردت التوحيد بينهم قالوا تنقصت جناب الأولياء والصالحين وإن جردت المتابعة لرسول الله ﷺ قالوا أهدرت الأئمة المتبوعين . وان وصفت الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير غلوّ ولا تقصير قالوا أنت من المشبهين . وإن أمرت بما أمر الله به ورسوله من المعروف ونهيت عما نهى الله عنه ورسوله من المنكر قالوا أنت من المفتنين . وان اتبعت السنة وتركت ماخالفها قالوا أنت من أهل البدع المضلين . وان انقطعت الى الله تعالى وخليت بينهم وبين جيفة الدنيا قالوا أنت من الملبسين . وان تركت ماأنت عليه واتبعت اهواءهم فأنت عند الله من الخاسرين وعندهم من المنافقين فالحزم كل الحزم التماس مرضات الله تعالى ورسوله باغضابهم وان لاتشتغل باعتابهم ولا باستعتابهم ولا تبالى بذمهم ولا بغضهم فانه عين كمالك كما قال *

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى فاضل

وقال آخر

وقد زادنى حبا لنفسى أننى * بغيض الى كل امرىء غير طائل[1]

فمن كان بواب قلبه وحارسه من هذه المداخل الأربعة التى هى أصل بلاء العالم وهى فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة واستعمل ماذكرناه من الاسباب التسعة التى تحرزه من الشيطان فقد أخذ بنصيبه من التوفيق وسد على نفسه أبواب جهنم وفتح عليها أبواب الرحمة وانعمر ظاهره وباطنه ويوشك أن يحمد عند الممات عاقبة هذا الدواء فعند الممات يحمد القوم التقى وفى الصباح يحمد القوم السرى والله الموفق لا رب غيره ولااله سواه

﴿ تم ﴾

تم تفسير سورة المعوذتين والحمد لله اولا وآخرا وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم باحسان آمين

(١) معناه غير كريم

فهرست كتاب تفسير المعوذتين

صحيفة	
٢	ماورد فى المعوذتين من الأحاديث
٣	نفث النبى صلى الله عليه وآله وسلم بالمعوذتين
٤	الفصل الأول في الكلام على الاستعاذة وبيان معناها
٥	الكلام على أصل فعل الاستعاذة
٦	بيان الحكمة فى مجيء امتثال هذا الامر بلفظ الامر والمأمور به
٧	الفصل الثاني في المستعاذ به وهو الله وحده رب الفلق ورب الناس
٨	الفصل الثالث في أنواع الشرور المستعاذ منها
٩	بيان أن الشرور هي الآلام وأسبابها وان أشأم الشرور هو معصية الله
١٠	بيان أن مدار المستعاذات كلها على هذين الاصلين الآلام وأسبابها
١١	كان النبى صلى الله عليه وسلم يستعيذ من ثمانية أشياء
—	فصل ، والشر المستعاذ منه نوعان وبيانهما
١٢	بيان أن مطالب العباد أربعة وقد جاءت فى آخر آل عمران
١٣	فصل فى سبب الشر وموزده ومنتهاه
١٤	فصل في الشرور المستعاذ منها فى هاتين السورتين
—	بيان أن جميع أفعال الله خير محض وانما يكون بعضها شراً بالنسبة الي المخلوقين فالشر في أفعاله أمر نسبى فقط وهو مبحث نفيس
١٥	أمثلة لما تقدم من أن الشر في أفعاله تعالى أمر نسبى
١٦	الدليل على أنه تعالي لا يعاقب الا من يستحق العقاب ولا ينتقم الا ممن يستحق الانتقام
١٨	فصل في معني قوله صلى الله عليه وآله وسلم « لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك »
١٨	طريقة القرآن تنزيه الله فى ذاته عن نسبة الشر اليه بوجه ما لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله وان دخل ذلك فى مخلوقاته ودليل ذلك من القرآن

صحيفة	
١٩	فصل . يدخل في قوله تعالي (من شر ماخلق)الاستعاذة من كل شر في أى مخلوق قام به الشر
٢٠	فصل . الشر الثانى شر الفاسق اذا وقب
٢١	بيان أن تفسير النبى صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق اذا وقب بأنه القمر لاينافى غيره من المعانى
٢٢	فصل فى بيان السبب الذي لأجله أمر الله بالاستعاذة من شر الليل وشر القمر اذا وقب
٢٣	فصل فى بيان السر فى الاستعاذة برب الفلق فى هذا الموضع
٢٤	فصل فى تفسير الفلق
٢٥	فصل . الشر الثالث هو شر النفاثات في العقد
٢٦	ماورد من الأحاديث فى سحر النبى صلى الله عليه وآله وسلم
٢٧	أقوال العلماء فى سحر النبى صلي الله عليه وسلم
٢٨	بيان أن السحر الذى أصابه صلى الله عليه وآله وسلم كان مرضاً من الامراض شفاه الله منه وأن ذلك غير قادح فى العصمة
٢٩	الرد على من أنكر سحره وتأول مسحوراً بمعني بشراً
٣١	مذهب السلف وعامة الفقهاء وأهل التفسير والحديث وأرباب القلوب من أهل التصوف أن السحر له تأثير في المرض والحب والبغض وغير ذلك
٣٢	الرد علي من أنكر تأثير السحر
—	فصل . الشر الرابع شر الحاسد اذا حسد
٣٣	بيان أن الحسد له تأثير وأن العين تأثيرها بواسطة النفس الخبيثة
٣٤	بيان أن من تأمل فى عجائب الأرواح وتأثيراتها وتحريكها الاجسام وانفعالها عنها رأى من العجائب ما لا يحيط به الوصف
٣٥	العاين والحاسد يشتركان في وصف ويفترقان فى وصف وبيان ذلك
٣٦	بيان أن النظر الذى يؤثر في المنظور قد يكون سببه شدة العداوة والحسد والدليل على ذلك
٣٧	الكلام على العاين والحاسد
٣٨	الكلام على الساحر والحاسد والفرق بينهما

صحيفة	
٣٩	فصل. قوله « ومن شر حاسد اذا حسد» يعم الحاسد من الجن والانس
٤٠	فصل . في تقييد الحاسد بقوله « اذا حسد»
٤٢	فصل . يندفع شر الحاسد عن المحسود بعشرة أسباب وبيانها
—	السبب الأول في دفع الحسد الاستعاذة بالله
٤٣	السبب الثاني تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه
—	السبب الثالث الصبر على عدوه
—	السبب الرابع التوكل على الله
٤٤	السبب الخامس فراغ القلب من الاشتغال به والفكر فيه
٤٥	السبب السادس الأقبال على الله والاخلاص له
٤٦	السبب السابع تجريد التوبة الى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه
—	السبب الثامن الصدقة والاحسان ما أمكنه
٤٧	السبب التاسع هو اطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالاحسان اليه وهذا لا يوفق له الا من عظم حظه من الله

صحيفة	
٤٩	السبب العاشر وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الاسباب الى المسبب العزيز الحكيم
٥٠	فصل علم مما تقدم ان نفوس الحاسدين واعينهم لها تأثير وأن الأرواح الشيطانية لها تأثير بواسطة السحر وقد افترق الناس في هذا المقام الى أربع فرق
٥١	تفسير سورة الناس
—	بيان ان هذه السورة قد تضمنت استعاذة ومستعاذا به ومستعاذا منه
—	المستعاذ به هو رب الناس ملك الناس اله الناس وقد بين المصنف سر هذه الأضافات الثلاث بما يشفي الغليل
٥٤	فصل . تضمنت هذه السورة الاستعاذة من الشر الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة
—	فصل في الكلام على الوسوسة واشتقاقها
٥٥	فصل . اختلف النحاة في لفظ الوسواس هل هو وصف أو مصدر

صحيفة	
	وقد ذكر المصنف حجج كل فريق وبين الصحيح منها الخ
٥٩	فصل في تفسير الخناس وبيان اشتقاقه
٦٠	فصل في تفسير قوله (الذي يوسوس في صدور الناس) وبيان ان الله جعل للشيطان دخولا الى جوف العبد ونفوذا الى قلبه والدليل على ذلك
٦١	بيان أن الوسوسة هي أعظم الشرور وأعمها فسادا
٦٢	للشيطان شرور غير الوسوسة وبيانها بادلتها
٦٤	بيان أن شر الشيطان ينحصر في ستة اجناس
—	الشر الاول شر الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله

صحيفة	
٦٢	فصل تأمل السر في قوله تعالى « يوسوس في صدور الناس »
٦٣	فصل في اختلاف المفسرين في الجار والمجرور في قوله تعالى « من الجنة والناس »
٦٤	الكلام على الجنة والانسان واشتقاقهما
٦٧	قاعدة نافعة فيما يعتصم به العبد من الشيطان ويستدفع شره ويحذر به منه وذلك عشرة أسباب
٧١	ومما يحترز به من الشيطان امساك فضول النظر والكلام والطعام ومخالطة الناس وتفصيل ذلك بما لم تجده في غير هذا الكتاب
٧٤	اقسام مخالطة الناس أربعة وبيانها مفصلة وبها يتم الكلام على تفسير المعوذتين